شرح

كتاب التوحيد

تأليف

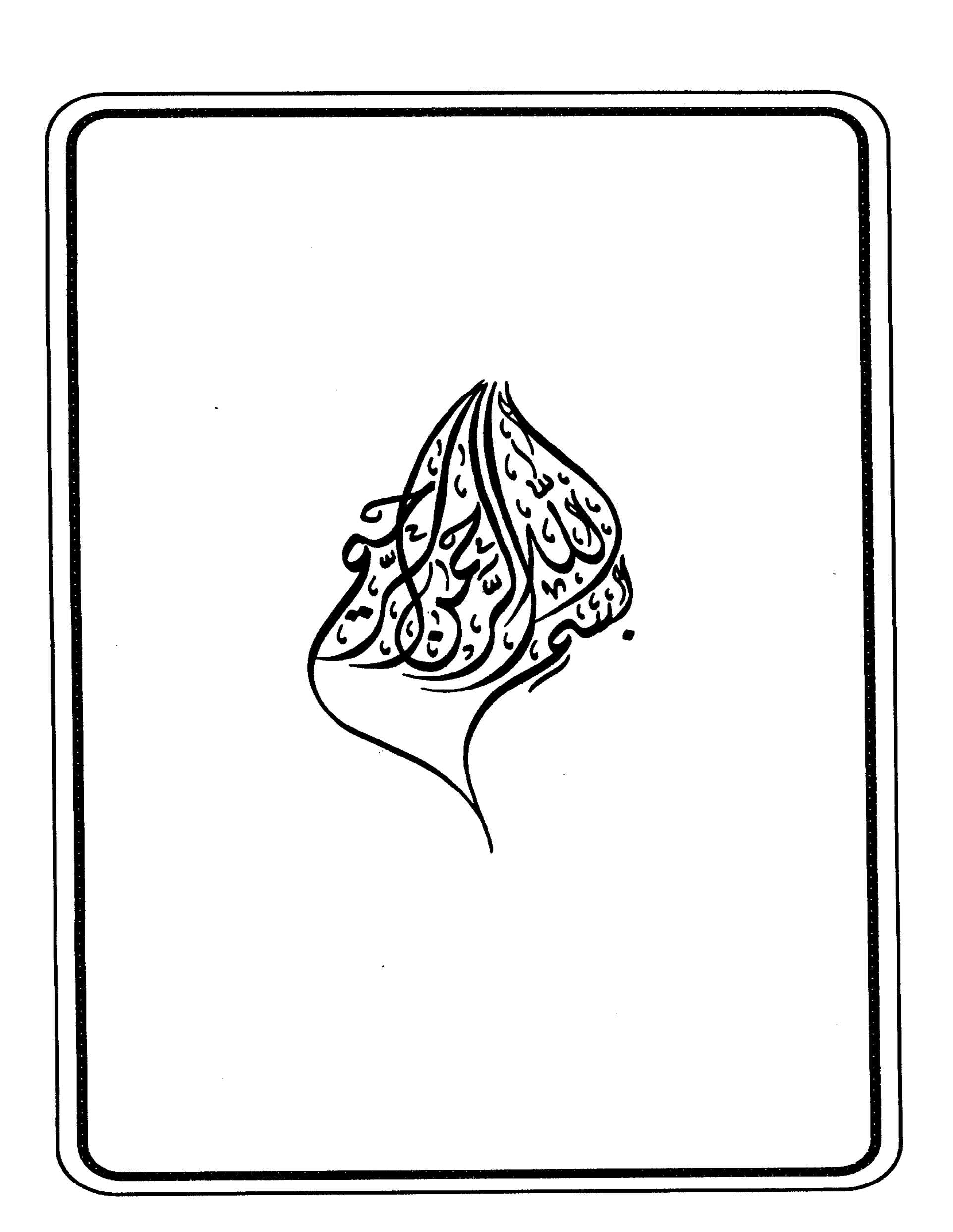
الشيخ العلامة

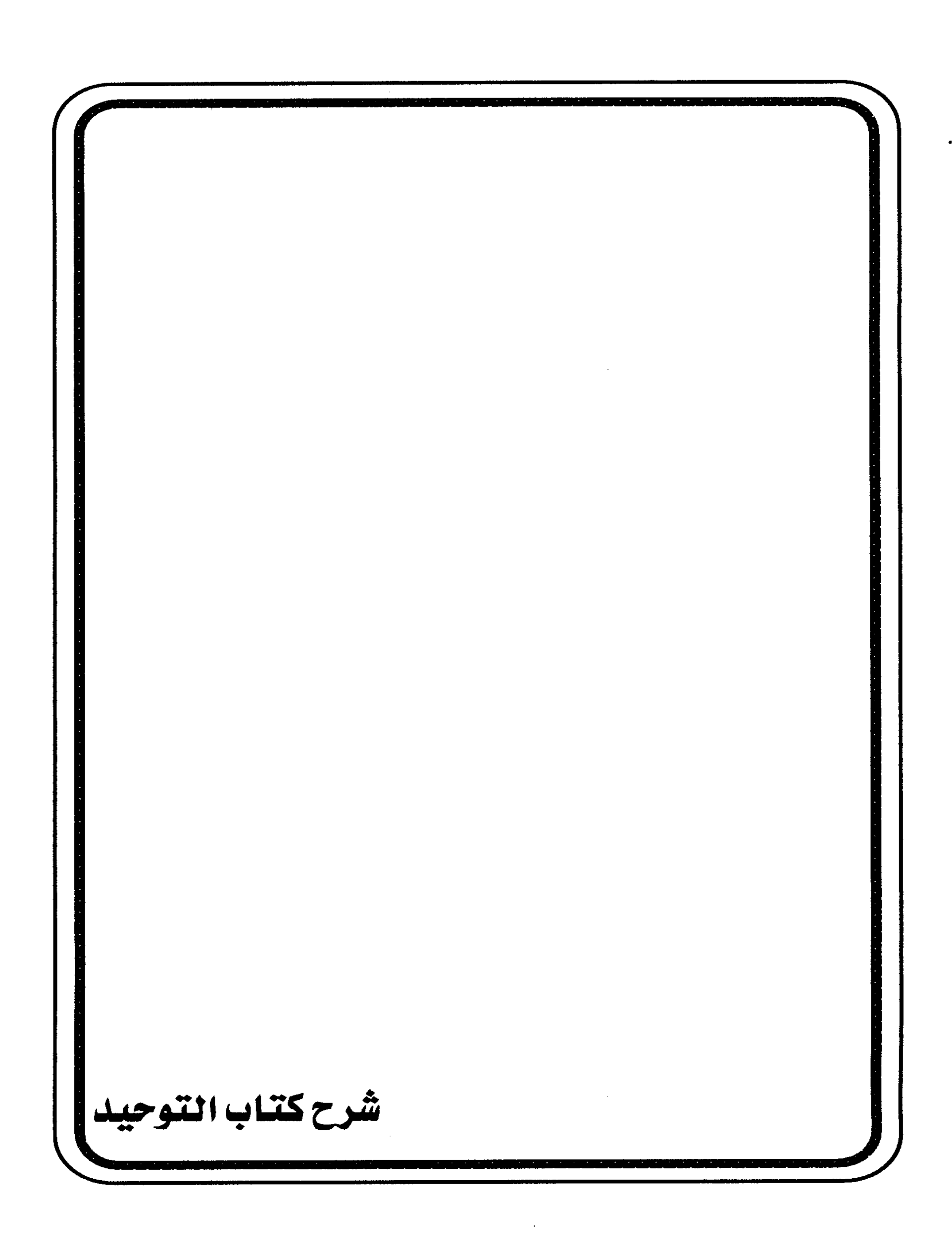
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

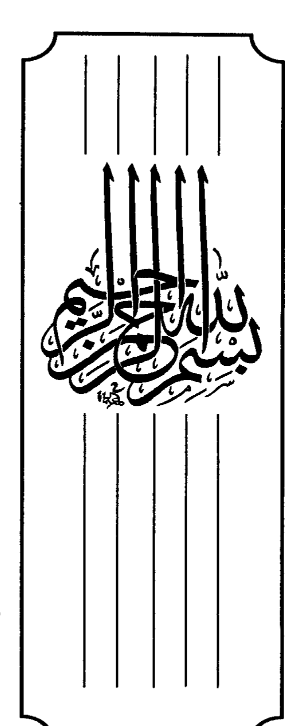
طبعة مخرجة الأحاديث

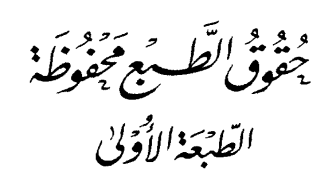
مكتبة الفرقان

لأبي عبد المصور محمد عبد الله


بسم الله الرحمن الرحيم


شرح كتاب التوحيد





١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م	
٢٠٠٥ / ١٥٩٢	رقم الايداع

مكتبة الفرقان

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

القاهرة

مساكن عين شمس – ش مسجد الهدي المحمدي

ت: ٢٩٤٠١٦٣ فاكس: ٢٩٦٧٢١٥

محمول: ٠١٠٥٦١٨١٧٩

E_mail: abdel_m*2005*@yahoo.com

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن الله عز وجل خلق الناس من أجل أن يوحدوه سبحانه وتعالىٰ، خلق لهم ما في الأرض جميعًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا...﴾ [البقرة: ٢٩] الآية، وسخره لهم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا...﴾ [الجاثية: ١٣] الآية، ولم يكلفهم بشيء سوىٰ توحيده فقط، وعبادته سبحانه وتعالىٰ بكل أنواع العبادة البدنية والقلبية، بل وأنزل الكتب السماوية كلها من أجل أن تدعو الناس إلىٰ توحيده سبحانه، والاستسلام له: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] الآية، وأرسل الرسل جميعًا من أجل أن يدعوا الناس لعبادته وتوحيده سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولما كان الأمر عظيم، حُقَّ لأقلام العلماء أن تتوجه إليه بالعناية والتأليف، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ضمن تلك الجهود المباركة الطيبة التي نفع الله بها الكثير، فجزىٰ الله مؤلفه

وشارحه وسامعه وقارئه خير الجزاء، وعمم النفع به...آمين

وكان عملنا في الكتاب كما يلي:

١ - عزو الأحاديث - ما كان منها في الصحيحين - إلىٰ مواضعها في الصحيحين أو أحدهما.

٢- ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما عزوناه إلىٰ موضعه في السنن والمسانيد وأوردنا حكم العلامة الألباني رحمه الله عليه.

٣- ما لم نجد للعلامة الألباني حكم عليه اكتفينا بعزوه إلىٰ موضعه في السنن والمسانيد وأوردنا أقوال أهل العلم والمحققين عليه ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

ونسأل الله عز وجل الصفح والغفران عما وقع من خطأ أو تقصير أو نسيان إنه غفور رحيم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.



ترجمة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

هو فضيلة الشيخ العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، مفتي المملكة العربية السعودية سابقًا، رحمه الله تعالىٰ.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله ببلدة الرياض عاصمة نجد في ذي الحجة عام ١٣٣٠ هـ، ونشأ من أول عمره في طلب العلم وفي أسرة كريمة محبة للعلم وأهله، فبدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم فحفظه قبل البلوغ ثم تلقىٰ العلوم الشرعية والعربية عن علماء الرياض.

ومن أجل مشايخه:

* الشيخ العلامة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.
* والشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ قاضي الرياض سابقًا.
* والشيخ سعد بن حمد بن عتيق من آل عتيق قاضي الرياض سابقًا.
* والشيخ حمد بن فارس وكيل بيت المال سابقًا.
* والشيخ سعد وقاص البخاري بمكة المكرمة أخذ عليه التجويد خاصة.
* وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالىٰ، وهو الذي درس عليه جميع الدروس وكان له الحظ الأوفر في تحقيق العلوم علىٰ يديه، فقد لازم درسه نحو عشر سنوات حيث بدأ الدراسة علىٰ سماحته ابتداء من عام ١٣٤٧ هـ إلىٰ عام ١٣٥٧ هـ لىٰ أن رشحه سماحته إلىٰ القضاء.

وقد كانت دراسة الشيخ رحمه الله تعالىٰ علىٰ سماحة المفتي دراسة لها نظامها الخاص، وهو نظام التدرج والبداءة بالأهم. فأولًا بدأ بدراسة العقائد وابتدأها بالأصول الثلاثة، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد، ثم العقيدة الواسطية، وهكذا في الفقه بالتدرج في المتون وكذلك الفرائض قرأها مرارًا، وكذلك في النحو في الآجرومية، ثم الملحة، ثم القطر ... الخ.

يعد فضيلته من كبار العلماء المجتهدين في العصر الحديث، حيث يسر الله له من العلوم في العربية ما يمكنه من النظر الكافي في العلوم الدينية، وقد كرس جهوده لأول وهلة في علوم الشريعة خاصة الفقه علىٰ مذهب الحنابلة، ثم أولىٰ الحديث عنايته التامة متنًا وسندًا، وكذلك علوم القرآن الكريم مما جعل فضيلته يعد في علماء العالم الإسلامي المبرزين، جزاهم الله خيرًا أجمعين.

ومن مؤلفاته:

* الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.
* نقد القومية العربية.
* توضيح المناسك.
* رسالة في نكاح الشغار.
* الجواب المفيد في حكم التصوير.
* رسالة في التبرج والحجاب.

وغيره الكثير، نفع الله بعلمه ... آمين.

ولقد كان مفضالًا رحمه الله كثير الإحسان إلىٰ المسلمين كما يحكىٰ عنه في ذلك من مواقف جليلة، كثير النصح لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وكان جوادًا كريمًا رحمه الله، أحبه الناس وأقبلوا عليه، واستفاد منه الكثير، وهدىٰ الله علىٰ يديه العباد، فنسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يجزيه خيرًا علىٰ ما قدم في خدمة هذا الدين.

وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله تعالىٰ في شهر المحرم من سنة ١٤٢٠ من الهجرة النبوية، وفقدت الأمة بذلك عمودًا من أعمدة العلم والدين والصلاح والإصلاح في هذا الزمان، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلىٰ من جناته ... آمين.



ترجمة شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

*** نسبه:**

هو الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تيم.

*** مولده:**

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

*** نشأته:**

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتىٰ نال حظًّا وافرًا وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجدَّ في طلب العلم ليلًا ونهارًا، فكان يحفظ المتون العلمية في شتىٰ الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ علىٰ علمائها، ثم رحل إلىٰ المدينة النبوية فقرأ علىٰ علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ علىٰ ابنه الفرضي الشهير إبراهيم بن الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قد وهبه الله فهمًا ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب علىٰ المطالعة والبحث، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتبًا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفي والده سنة ١١٥٣ هـ أخذ يعلن جهرًا بالدعوة السلفية إلىٰ توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل القبور (الأوثان والأصنام)، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

❋ مؤلفاته:

وله – رحمه الله تعالىٰ – مؤلفات نافعة نذكر منها: الكتاب الجليل المفيد المسمىٰ: كتاب التوحيد، وقد طبع أكثر من ألف طبعة كلما نفدت طبعة أعيد طبعه.

١ – كتاب «كشف الشبهات».

٢ – كتاب «الكبائر».

٣ – كتاب «ثلاثة الأصول».

٤ – كتاب «مختصر الإنصاف والشرح الكبير».

٥ – كتاب «مختصر زاد المعاد».

٦ – وله فتاوىٰ ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

❋ وفاته:

وقد توفي رحمه الله تعالىٰ عام ١٢٠٦ هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



كتاب التوحيد

١- باب حق الله على العباد وحق العباد على الله

❁ وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

❁ وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية

❁ وقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية.

❁ **التوحيد:** مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا.

والتوحيد: إفراد الله تعالىٰ بالعبادة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه هي الحكمة الشرعية من خلقهم، فلم يخلقهم ليكثر بهم من قلة،.كما أنه خلقهم ليبتليهم أيضًا.

كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] وليعلموا صفاته، كما قال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، فخلقهم ليعلمهم أنه الخالق الرازق والقادر، وابتلاهم بالأوامر والنواهي والتكاليف ليعبدوه علىٰ بصيرة، ولأجل هذا بعث الرسل وأنزل الكتب، ليعلموا حقه ويتمسكوا به.

❁ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أي: اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت.

والطاغوت: ما عبد من دون الله، وهو راض، أما ما عبد من دون الله، وهو لا يرضىٰ بذلك، كالرسل والأنبياء، فليسوا بطاغوت؛ لأنهم لم يأمروا بذلك.

❁ ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

أي: أمر وأوصىٰ أن لا تعبدوا إلا الله؛ لأنه هو المستحق للعبادة، فلا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله فاعبدوه وحده، ولا تشركوا معه في عبادته أحدًا من نبي أو ملك، أو ولي، أو غير ذلك. فعلىٰ الإنسان أن يحذر من الشرك كله.

❁ وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦] الآية.

❁ وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] الآيات.

❁ ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]

❁ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

أي: قل يا أيها الرسول: تعالوا أيها الناس أخبركم وأقص عليكم ما حرمه الله عليكم، وأتل على علم ويقين، لا عن شك وظن، وأول هذه المحرمات: الشرك.

و«**لا**»: صلة. فحرم الشرك كما حرم المحرمات، وأعظم هذه المحرمات هو الشرك.

والشرك: صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله.

واشتملت هذه الآيات على عشرة أمور:

الأول: الشرك.

الثاني: الإحسان إلى الوالدين، وذكرهما بعد ذكر حق الله؛ يدل على عظم حقهما، والإساءة إليهما من أجرم الذنوب والمعاصي، وقرنهما الله بحقه في غير ما آية.

الثالث: عدم قتل الأولاد.

الرابع: عدم قرب الفواحش من الغيبة والنميمة والزنا والسرقة وغيرها.

الخامس: عدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

السادس: عدم أكل مال اليتيم، واليتيم: هو الذي مات أبوه قبل الاحتلام.

السابع والثامن: الكيل والوزن بالقسط.

التاسع: الوفاء بعهد الله.

العاشر: العدل.

وعهد الله: ما أوصى به من عبادته، وعدم معصيته وإفراده.

والفواحش: هي المعاصي، وسميت بذلك؛ لأن العقل السليم ينكرها، والفطرة السليمة تنكرها.

والوصية: الأمر المؤكد، أوصى بشيء إذا أكده.

والعقلاء: هم الذين يعقلون هذه الأمور، ويلتزمونها بعقولهم.

❁ **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥١– ١٥٣].. الآية[1].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] صراط الله، هو فعل الأوامر، وترك النواهي، والإخلاص له، فعليهم أن يستقيموا عليه ويلتزموا به.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والسبل: هي البدع، والأهواء والشهوات المحرمة، وذكر التعقل أولًا، لأن العبد يتفكر أولًا، ثم يتأمل، فيعرف، ويتذكر، ثم يتقي فيعمل بما ينفعه، ويترك ما يضره ويغضب ربه.

❁ **قال ابن مسعود**: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه...» أي: كأنه كتبها وختمها بختمه، فهذه وصية الله، وهي وصية من رسول الله ﷺ، وكان الصحابة قد أسفوا لما أراد النبي ﷺ أن يوصي، ثم ترك ذلك، وذلك أنه حين أراد أن يوصي قال بعضهم: أحضروا كتابًا، وقال بعضهم: لا تشغلوه وهو مريض فأمر بإخراجهم، وقال: «**ما ينبغي عندي التنازع**»[2].

قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية، ما حال بين الرسول وبين أن يكتب الوصية[3].

وجاء في الحديث: أن الرسول ﷺ قال لأصحابه: «**ألا تبايعوني علىٰ هذه الآيات؟**»[4].

---

(١) الأثر رواه الترمذي في سننه (٣٠٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩١٨)، والطبراني في الأوسط (١١٨٦) وقال: لم يرو هذا الحديث عن الشعبي إلا داود تفرد به محمد بن فضيل. وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي.

(٢) روىٰ هذا الحديث البخاري (١١٤) ومواضع أخرىٰ إلا أنها ليس فيها الشاهد، وكذا مسلم (١٦٣٧) وليس في روايته موضع الشاهد أيضًا.

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣٢٤٠)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٦٦) وعزاه لعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

❁ **وعن معاذ بن جبل** ﷺ **قال:** كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟** فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**». أخرجاه في الصحيحين[(١)].

❁ **وعن معاذ** ﷺ **قال:** كنت رديف النبي عليه الصلاة والسلام على حمار فقال...

في الحديث تواضع النبي عليه الصلاة والسلام، وحسن خلقه من وجوه: كونه راكب على حمار، وكون له رديف، ومحادثته لمعاذ رديفه، بخلاف ما يفعله بعض المتكبرين.

وفيه: إخراج الفائدة والحكم بصيغة السؤال، وهذا له وقع في قلب السامع، ويكون متهيئًا ومتحمسًا للجواب؛ بخلاف ما لو ذكر الحكم ابتداء فربما لم ينتبه له.

وقوله: الله ورسول أعلم. فيه حسن خلق معاذ، حيث لم يتكلف ما لا يعلمه، وهذا هو الواجب أن يقول: لا أدري، أو: الله ورسول أعلم، في حال حياته، وبعد وفاته يقول: الله أعلم، أو لا أدري، ولا يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يدري ما أحدث الناس بعده كما في حديث الحوض حين يقول: «**أصحابي أصحابي**»، فيقال له: **إنك لا تدري ما أحدث الناس بعدك**»[(٢)]. اهـ.



---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠) عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس ﷺ.

٢- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ...﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية.

أراد المؤلف به بيان شيء من فضل التوحيد، وأنه أعظم الأعمال في تكفير الذنوب؛ لأنه أساس الأعمال وأصلها، والأعمال لا تصح إلا بعد وجوده.

وذكر ذلك حتىٰ يعرفه المؤمن، ويكون أكثر إقبالًا عليه وتشوقًا إليه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

آمنوا: أي: وحدوا الله، وأخلصوا له العبادة، وآمنوا أنه إلههم الحق.

ولم يلبسوا: أي: لم يخلطوا.

إيمانهم: توحيدهم.

بظلم: بشرك، بل أخلصوا له العبادة سبحانه.

لهم الأمن: أي: الأمن الكامل والهداية الكاملة، إذا كان إيمانهم سليمًا من الظلم كله دقه وجله؛ من الشرك، وما دونه من المعاصي، وظلم العباد.

ولما نزلت هذه الآية، شق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، وجاءوا إليه، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه- ظنوا أنه أراد جنس الظلم، أي: جنس المعاصي – فقال: «**ألم تسمعوا قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم**»[١].

فالمراد من الظلم هنا: الشرك. بخلاف المشرك، فلا أمن له، بل إلىٰ النار. والمؤمن إذا سلم من الشرك الأكبر والأصغر، وظلم العباد، فله الهداية الكاملة، والأمن التام في الدنيا والآخرة، أما إذا سلم من الشرك الأكبر، ولم يسلم من الأصغر، ومن بعض الذنوب فهدايته ليست كاملة، وأمنه ليس كاملًا، بل ربما يدخل النار بالمعاصي التي مات عليها، وفي شرح الآية بين الرسول أن الهداية والأمن المطلقين لا يحصلان إلا بترك الشرك، لكن دلت النصوص الأخرىٰ أن الهداية لا تكمل، والأمن لا يكمل إلا بالسلامة من المعاصي، وظلم العباد، وسائر أنواع الشرك الأصغر.

(١) رواه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٢٤).

❁ **عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**»[١]. أخرجاه.

❁ **ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[٢].

❁ **حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: «من شهد أن لا إله إلا الله... أدخله الله الجنة...».**

روح منه: أي: روح من الأرواح التي خلقها وأوجدها.

فمن شهد هذه الشهادة صادقًا أدخله الله الجنة، وهذا من الأحاديث المطلقة الدالة علىٰ فضل التوحيد، ولكن دلت النصوص علىٰ أن هذا الإطلاق مقيد بمن أدىٰ حق هذه الشهادة، أي: شهد شهادة جازمة بذلك تتضمن إخلاص العبادة له وحده، عن صدق وانقياد، ومحبه، وقبول، وإخلاص، ومتابعة لنبيه عليه الصلاة والسلام، وطاعته، فمن شهدها ولطخها بالمعاصي والسيئات أو قالها باللسان فقط وهو يشرك بقلبه أو عمله كالمنافقين، فهذه لا تنفعه الشهادة، بل لا بد من قولها، والجزم بها، والعمل بالأوامر، وترك النواهي، واتباع النبي عليه الصلاة والسلام. وإلا فتكون الشهادة مدخولة لا تقوىٰ علىٰ دخول صاحبها الجنة إلا بمشيئة الله.

قوله: «علىٰ ما كان من العمل»، أي: علىٰ ما كان عنده من صلاح وفساد إذا قالها عن إخلاص وإيمان. ولكن هذا الدخول قد يكون من أول وهلة، أي: يدخل ابتداءً إذا مات علىٰ توبة، وعمل صالح وصدق، وقد يكون بعدما يبتلىٰ به من جزاء السيئات والمعاصي، وبعدما يمحص في النار، ويعذب فيها، ثم مصيره إلىٰ الجنة، فمن أدىٰ هذه الشهادة، وقضىٰ ما عليه دخل الجنة من أول وهلة. وإذا مات علىٰ المعاصي؛ فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة.

❁ أولهما من حديث عبتان: «**فإن الله حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣) عن محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك رضي الله عنه.

۞ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسىٰ: يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسىٰ: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله»[1]. رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.

أي: من قالها عن صدق، ومات عليها؛ أدخله الله الجنة؛ فإن كانت له ذنوب، فهو تحت المشيئة، إن لم يتب من ذنوبه كما تقدم.

ومن قالها مخلصًا وصادقًا، فإنه لا يصر علىٰ السيئات؛ لأن إيمانه وإخلاصه الكامل يردعه عن الاستمرار والإصرار علىٰ المعاصي؛ فيدخل الجنة ابتداءً مع أول الداخلين، والدليل علىٰ أن من مات علىٰ المعاصي فهو تحت المشيئة قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. ودلت الأحاديث أن أهل المعاصي معرضون للوعيد، وأنهم يدخلون النار، ثم يخرجون بشفاعة الأنبياء وغيرهم، لأنهم قد أضعفوا توحيدهم ولطخوه بالمعاصي.

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وهو المعنىٰ الصحيح الذي خلا عنه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم.

– من كفر بالله فإن الشهادة لا تنفعه وإن شهدها.

۞ حديث أبي: سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**قال موسىٰ: يا رب! علمني شيئًا...**» يدل الحديث علىٰ فضل هذه الكلمة، وأنها ذكر ودعاء لقوله: علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به – فهي ذكر لله؛ لأن فيها شهادة له بالوحدانية، ودعاء: لأن قائلها يرجوا ثوابها، وهكذا كل الأذكار من تسبيح وتحميد وحوقلة.

وفي هذا دلالة علىٰ شأن هذه الكلمة، فهي ذكر ودعاء، وأن فضلها قد يخفىٰ علىٰ بعض الأنبياء.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٩٣٦)، وأبو يعلىٰ في مسنده (١٣٩٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٦٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٠٢)، والمتقي الهندي في كنز العمال (١٩٠٧)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في كلمة الإخلاص (١/ ٥٨).

۞ وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالىٰ: يا ابن آدم لو أتيتني بِقُرابِ الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[1].

وعظم هذه الكلمة في أنها تحقق العبادة لله وحده، وتثبتها لله، وتنفيها عن غيره، ومعناها: أن لا معبود بحق إلا الله، ففيها إبطال لجميع الآلهة.

قوله: «وعامرهن غيري»

استثنىٰ سبحانه نفسه؛ لأنه العظيم، وهو سبحانه فوق العرش، وبه قامت السموات والأرض، وهو الذي أمسكهن، وأقامها، وأقام العرش، والكرسي وبه قامت هذه المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، وقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

في كفة: أي: كفة الميزان، ولا إله إلا الله في الكفة الأخرىٰ.

«مالت بهن لا إله إلا الله»: مالت بهن، أي: بمعناها، وليس بأجرامها. فبالنظر إلىٰ المعاني والحقائق، فإن كلمة التوحيد أعظم وأصدق وأهم معنىً فترجح علىٰ غيرها.

وكما رجحت الكلمة بالمخلوقات فإنها ترجح بمن قالها علىٰ جميع سيئاته وذنوبه.

۞ **حديث أنس مرفوعًا: «قال الله تعالىٰ: يا بن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني....»** يدل علىٰ أن الخطايا كلها مرجوحة في مقابل حقيقة كلمة التوحيد، كما ترجح بالمخلوقات العظيمة.

قرابها بالظلم: أي ما يقارب الأرض ويملأها.

ووجه العلماء هذا الحديث بوجهين:

الأول: أن هذا في حق من قالها صادقًا مخلصًا، لم يصر علىٰ سيئة أصلًا فأحكم هذه الكلمة، حتىٰ صار مؤديًا لجميع الواجبات تاركًا لجميع المنهيات مستقيمًا علىٰ شرع الله في كل شيء.

----

(١) رواه عن أنس رضي الله عنه الترمذي (٣٥٤٠)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٩٠٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢٨٠٥).

....

الثاني: أن هذا في حق من قالها وأتىٰ إلىٰ الله تائبًا من خطاياه مقلعًا عن ذنوبه وسيئاته، فكل الخطايا ساقطة بهذه الكلمة.

وهذا المعنىٰ لا بد منه؛ لأن الآيات والأحاديث دلت علىٰ أن أهل المعاصي علىٰ خطر، وأنهم متوعدون بالنار، والنصوص لا تعارض بعضها بعضًا، ولا تتناقض بينها، فوجب حمل النصوص علىٰ هذا المعنىٰ حتىٰ لا يكون هناك اختلاف وتناقض.

وقد تعلق بعض الجهلة بمثل إطلاقات هذه النصوص، وظن أن هذه الكلمة تكفي بمجرد القول، وإن ترك الواجبات وفعل المعاصي. وهذا مخالف لما أجمع عليه سلف الأمة من أنه لا بد من أداء الواجبات، وترك المحرمات، والوقوف عند حدود الله.

ومن ترك الواجبات، أو فعل المنهيات فإنه معرض لعقوبة الله تعالىٰ، وإن كان يقول هذه الكلمة ويوقن بها.

وإن أتىٰ بما ينقض إسلامه صار مرتدًا كافرًا، لم تنفعه هذه الشهادة.

فلا بد من تحقيق هذه الكلمة ومستلزماتها، وإلا فهو علىٰ خطر إن لم يتب.



٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

❁ وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

❁ وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩].

تحقيق التوحيد: تخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

فمن حقق توحيده، وسلم من الشرك والبدع والمعاصي؛ دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد، والأصغر ينافي كمال الواجب، والبدع والمعاصي تقدح فيه، وتنقص ثوابه.

❁ **قال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

وصف الله خليله إبراهيم بصفات عظيمة، تدل علىٰ كمال توحيده وإيمانه، ومن ذلك.

الأولىٰ: ﴿أُمَّةً﴾: أي: داع إلىٰ الخير وحده صابرًا عليه كما فسره العلماء، فيدعو إلىٰ الحق، ويستقيم عليه وحده عند فساد الناس، وهذان الأمران مجتمعان في إبراهيم، فإنه علىٰ الحق، وليس عليه غيره، ومع ذلك يدعو إليه وحده.

الثانية: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾، أي: مطيعًا لله مستمرًّا علىٰ الخير، فمن معاني القنوت: دوام الطاعة، وقنوته كان لله وحده، فلم يكن يعبد الله غيره.

الثالثة: ﴿حَنِيفًا﴾: المقبل علىٰ الله المائل إليه، من الحنف، وهو الميل، فهو مائل عن عبادة غير الله إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ثم أكد الكلام بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. بل فارقهم في عقيدته وأعماله وأقواله ومنزله، وهذا الذي ينبغي للمسلم أن يستقيم، ويحقق توحيده، ولا يخالط المشركين ويكثر سوادهم.

فلهذه الصفات حقق إبراهيم عليه الصلاة والسلام كمال التوحيد.

❁ **قال تعالىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩].

هذا من صفات أهل التوحيد والإيمان أنهم كانوا موحدين لله مخلصين له، خالصين من الشرك مع عبادتهم وخوفهم لله، وهذا كمال التوحيد.

وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد فنبينا ﷺ أولىٰ أن يكون قد حققه؛ لأنه أتقىٰ الناس له وأخلصهم له.

۞ **عن حصين بن عبد الرحمن قال:** كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك علىٰ ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حُمَة**». قال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ....

۞ **حديث حصين:** كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأىٰ الكوكب...

قوله: «غير أني لم أكن في صلاة»: فيه صفة من صفات السلف، وهي أنهم كانوا يتحرزون من إظهار أعمالهم خوفًا من الرياء، وتزكية النفوس.

لدغت: اللدغ إذا أصابته لسعة من عقرب أو حية ونحوهما.

ارتقيت: طلبت من يرقيني؛ لأن الرقية ينفع الله بها من اللدغ.

قوله: فما حملك علىٰ ذلك: فيه السؤال عن الدليل فيما فعله، وفيه حال السلف، وما هم عليه من المذاكرة، وطلب الدليل.

قال: عن بريدة بن الحصيب: فهذا الحديث جاء عن بريدة، وجاء مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ.

وقوله: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع: لأنه عمل بعلم، ولم يعمل بجهل أو بخلاف ما تعلمه.

قوله: «**لا رقية إلَّا عين أو حمة**»: فيه أن من أصيب بأذىٰ الحيات والعقارب، أو بأمراض أخرىٰ فلا بأس أن يرقي نفسه أو يسترقي. وليس المراد في الحديث الحصر، بل حمله العلماء علىٰ الأولوية، أي: لا رقية أولىٰ من رقية العين، والحمة، لأن الأحاديث دلت علىٰ جواز الرقىٰ من غير العين والحمة.

كحديث «**لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركًا**»[1]، وثبت أنه ﷺ رقىٰ ورقي. فدل علىٰ جواز ذلك، ولا بأس من نفع المريض وقراءة الآيات عليه.

والعين: من عين العائن ونظرته ونفسه.

والحمة: لدغ الحيات والعقارب.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

.... ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهطُ، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، ثم نهض فدخل منزله.

وهذه الرقية نافعة بالنص والتجارب. فيستحب لمن أصيب بها أن يرقي نفسه، أو يرقيه أخوه؛ لحديث «**من استطاع أن ينفع أخاه بشيء فليفعل**»[١]. والاسترقاء، وطلب الرقية تركه أولىٰ، لكن إن احتيج إليه فلا بأس، ولهذا استرقىٰ النبي ﷺ لأولاد جعفر، كما سيأتي، وقال لأمهم أسماء: «**واسترقي لهم**»[٢]، لما أصابتهم العين.

ثم ذكر سعيد ما هو أفضل منه – أي: من الاسترقاء – فقال: حدثنا ابن عباس...

وقوله: «عرضت علي الأمم»: كان هذا ليلة الإسراء علىٰ الصحيح.

وقوله: «... والنبي وليس معه أحد»: ومنهم من قتله قومه، وهذا يدل علىٰ أن المتبعين للحق قليل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يونس: ١٠٣].

وقوله: «هذا موسىٰ وقومه»: يدل علىٰ فضل موسىٰ، وأنه استجاب له كثير من بني إسرائيل.

قوله: «فنظرت فإذا سواد عظيم»: وفي رواية «**أنهم سدوا الأفق**»، وفي رواية: «**أنهم سدوا الأفق الآخر**»، وهذا يدل علىٰ عظم هذه الأمة، وأنهم أكثر أتباعًا؛ لأنهم آخر الأمم ونبيها خاتمها، وهم نصف الجنة أو ثلثاها كما جاء في الحديث.

قوله: «ومعهم سبعون ألف»: جاء في أحاديث أخرىٰ أن مع كل وحد سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب[٣]؛ لكمال تقواهم وإيمانهم واستقامتهم وكلما كان العبد أكثر استقامة، كان أسهل لدخول الجنة.

---

(١) رواه مسلم (٢١٩٩)، وأحمد (١٣٨١٩) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (٢١٩٨)، وأحمد (١٤١٦٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أيضًا.

(٣) رواه أحمد (٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٧١٢)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٣١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٥٧)، والسلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون**،...............

قوله: فخاض الناس فيهم: أي: في صفاتهم، ومن هم، ففيه شرعية البحث والمذاكرة والنظر في النصوص للعلم.

قوله: «**هم الذين لا يسترقون**»: لا يطلبون من يرقيهم.

وفيه فضل ترك سؤال الناس والاستغناء عنهم حتىٰ في طلب الرقية، لكن لم ينه عن هذا، وإنما ذكر فضل تركه فقط فإذا دعت الحاجة إليه فلا بأس من العلاج وتركه أفضل عند عدم الحاجة.

قوله: «**ولا يكتوون**»: وتركه أفضل عند عدم الحاجة، لأنه نوع تعذيب فإذا تيسر دواء غيره فهو أولىٰ، فإن دعت الحاجة إليه فلا كراهة لحديث «**الشفاء في ثلاث: كية نار، أو شربة عسل، أو شرطة محجم**»، وفي لفظ: «**وأنهىٰ أمتي عن الكي**»[1]، فالنهي للتنزيه لا للتحريم، ولهذا كوىٰ بعض أصحابه، وكوىٰ الصحابة من أمراض أصابتهم، فهو جائز عند الحاجة إليه والاستغناء عنه بدواء آخر أفضل –فهو من صفات السبعين– فإذا دعت الحاجة إليه فلا بأس.

قوله: «**ولا يتطيرون**»: الطيرة: هي الشرك، وهي التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات حتىٰ يرده ويوقفه عن حاجته. وهذا منكر منهي عنه، وقال: «**الطيرة شرك**»[2]، وقال: «**ولا ترد مسلمًا**»[3]، وقال: «**إذا رأىٰ أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨١، ٥٦٨٠، ٥٦٨٣)، ومواضع، ومسلم (٢٢٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٩١٠)، و ابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٦٠).

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٥١٢)، والبيهقي في الشعب (١٧١)، والكبرىٰ (١٦٢٩٨)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٦١٩). ولكن روىٰ مسلم في صحيحه حديثًا بهذا المعنىٰ برقم (٥٣٧)، وفيه: عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال: «**فلا تأتوا الكهان**»، قال: قلت: كنا نتطير قال: «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**».

(٤) رواه أبو داود (٣٩١٩)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٦١٩)، وهو تمام الحديث السابق.

.... **وعلىٰ ربهم يتوكلون»**، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«أنت منهم»** ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم...

والحسنات: هي: النعم. والسيئات: هي المصائب والنقم. وأخبر أن كفارة الطيرة أن يقول: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[١].

قوله: «وعلىٰ ربهم يتوكلون»: أي يعتمدون علىٰ الله، ويفوضون أمورهم إليه فهذا شأنهم، فهم معتمدون علىٰ الله واثقون به، ويعلمون أنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم، ومع ذلك يبتعدون عن الشركيات، وعن المكروهات كالكي، والاسترقاء، ثقة به، واعتمادًا عليه، وحرصًا علىٰ كمال دينهم وسلامته.

فهذه صفات السبعين، وهم الذين أدوا الواجبات، وتركوا المحرمات والشركيات، واعتمدوا وتوكلوا علىٰ الله، وفوضوا أمورهم إليه مع أخذهم بالأسباب المباحة لطلب الرزق والتجارة، وأنواع الطب المباح، لكن تركوا ما يحوجهم إلىٰ الناس كالاسترقاء، أو ما فيه نوع تعذيب، إذا لم يضطروا إليه، وابتعدوا عن بعض المباحات التي فيها نقص، فجازاهم الله بأن أدخلهم الجنة لا حساب ولا عذاب.

فائدة:

الرقية بدون سؤال من الأسباب المباحة، أما مع السؤال فتركه أولىٰ عند عدم الحاجة لحديث: «**لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركًا**»[٢].

والرقية جائزة بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون بلسان معروف المعنىٰ.

الثاني: وأن لا يكون فيه محذور من جهة الشرع.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٠٤٥)، والهيثمي في المجمع (٨٤١٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد.

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

... فقال: «سبقك بها عكاشة»[(١)].

الثالث: أن يفعل ذلك طلبًا للشفاء من الله، ولا يعتمد علىٰ الأسباب نفسها، فلا بأس بالرقية علىٰ هذا الوجه.

وهكذا يجوز الكي عند الحاجة، وتركه أولىٰ لما فيه من التعذيب.

أما الأسباب الأخرىٰ، فلا بد منها، فلا بد أن يأكل ويشرب، ويطلب الرزق، ويعمل الواجبات طلبًا للجنة ويحذر من الوقوع في المحرمات.

أما الأسباب التي فيها نقص كالكي والاسترقاء فتركه أولىٰ.

قوله: «سبقك بها عكاشة» قال: سدًّا للباب لئلا يقوم من ليس أهل.

وأخذ العلماء منه جواز استعمال المعاذير، وهي الكلمات التي تسد بابًا لا يحمد عقباه فيستعملها من دون أن يتعرض لإهانة أحد أو فضيحته.

ولا بأس للإنسان أن يرقي نفسه، لكن طلب الرقية من الغير تركه أولىٰ.

ولا بأس بأن يسأل الإنسان من أخيه أن يدعو له كما جاء في الحديث: **«لا تنسانا من دعائك»**[(٢)].

اتقاء الأسباب الضارة مشروع، كعدم الورود علىٰ المريض مرضًا معديًا.

فيتقي مخالطته كما في الحديث: «لا يورد ممرض علىٰ مصح»[(٣)] وإذا خالطهم ثقة بالله واعتمادًا عليه لإيضاح الإيمان فلا بأس. وثبت أنه ﷺ أكل مع مجذوم، وقال: **«كُلْ باسم الله ثقة بالله»**[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٥٤١)، ورواه بتمامه مسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩٥)، وأبو داود (١٤٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٩٢٠)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٤٤٢٥).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).

(٤) رواه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٧)، والحاكم في المستدرك (٧١٩٦)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الترمذي (٣٠٧).

....

ولا بأس بالقراءة علىٰ الماء، والنفث فيه، وثبت أن النبي ﷺ نفث في ماء لثابت بن قيس[1]، والقراءة تكون مما تيسر من القرآن. اهـ.

---

(١) رواه أبو دواد (٣٨٨٥)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (٨٣٦).

٤- باب الخوف من الشرك

❁ وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

❁ وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

❁ وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء»[١].

أي: باب وجوب الخوف من الشرك فيجب علىٰ المؤمن أن يخاف من الشرك، والمعاصي يبتعد عنها وخاصة الشرك ولا يأمن من ذلك علىٰ نفسه.

والشرك: هو تشريك غير الله في العبادة أيًا كانت ولذلك سمي شركًا والعبادة حق لله وحده. وأعظم من ذلك صرف العبادة كلها لغير الله عز وجل.

❁ **وقوله تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فيه بيان عظم الشرك وخطورته لأن الإنسان إذا مات عليه لم يغفر له بل هو خالد مخلد في النار، بخلاف سائر المعاصي فهي تحت المشيئة إن شاء عذبه بقدرها ودخل الجنة، وإن شاء غفرها له، أما الشرك فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

❁ **وقول الخليل عليه السلام**: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

هذا فيه خطورة الشرك لأن سيد الأنبياء بعد نبينا كان يخاف من الشرك فوجب التأسي بهم وأن نكون أولىٰ بالخوف منهم.

الأصنام: هو ما نحت علىٰ صورة، كصورة إنسان أو حيوان.

والمشركون كانوا أقسامًا: منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد غير الأصنام كالشجر والبحر والشمس والقمر، وكلهم يجمعهم صرف العبادة لغير الله عز وجل ويطلق علىٰ الصنم: وثن.

❁ **وفي الحديث**: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه فقال: «**الرياء**».

هذا الحديث رواه أحمد بإسناد جيد عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ وله شواهد قوية كلها تدل علىٰ وجوب الحذر من الرياء وأنه خطير ويبتلىٰ به الصلحاء؛ لأنه قد يرائي بصلاته

---

(١) رواه أحمد (٢٣٦٨٠)، والطبراني في الكبير (٤٣٠١)، والبيهقي في الشعب (٦٨٣١)، والهيثمي في المجمع (٣٧٥)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٥٥).

۞ وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»[١]، رواه البخاري.

۞ ولمسلم عن جابر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»[٢].

وزكاته وأمره بالمعروف ونهيه، وفي الحديث: «من سمَّع سمَّع الله به ومن راءىٰ راءىٰ الله به»[٣] وتمام الحديث: «**أن الله يقول للمرائين يوم القيامة اذهبوا إلىٰ من كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء**»[٤] والرياء: مصدر راءىٰ يرائي.

وفي الحديث: «**يقول الله: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٥] رواه مسلم. فيجب علىٰ الإنسان أن يخلص لله وحده.

۞ وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» رواه البخاري.

ندًّا: أي: شبيهًا ونظيرًا يدعوه مع الله ويستغيث به فهو مخلد في النار، وفي رواية قال ابن مسعود: وقلت: ومن مات وهو لا يدعو من دون الله ندًّا دخل الجنة. أي: من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة. فاتخاذ الأنداد من أسباب دخول النار، ومعنىٰ اتخاذ الأنداد تشريك غير الله معه في العبادة من الصالحين والأنبياء أو شجرًا أو حجرًا.

۞ ولمسلم عن جابر مرفوعًا: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**». وفيه خطورة الشرك ووجوب الخوف منه وحذره.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧) بلفظ: عن عبد الله: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرىٰ قال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**» وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.

(٢) روىٰ البخاري شطره الأول (١٢٩)، ورواه مسلم (٩٣).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٤) رواه أحمد (٢٣٦٨٠)، والطبراني في الكبير (٤٣٠١)، والبيهقي في الشعب (٦٨٣١)، والهيثمي في المجمع (٣٧٥)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٥٥)، وهو تمام حديث: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...**» المتقدم قريبًا.

(٥) رواه مسلم (٢٩٨٥).

....

الحديث فيه موجبتان:

الأولىٰ: أن من لقي الله لا يشرك به دخل الجنة.

والثانية: أنه من لقيه وهو مشرك دخل النار.

ولذا في لفظ آخر قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالموجبتين» قالوا: بلىٰ، قال: «من لقي الله...»[1].

---

(١) رواه مسلم (٩٣)، بلفظ: عن جابر قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار».

٥- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا**

أي: باب وجوب فضيلة الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لأنها أختها.

فمراد المؤلف الدعوة إلىٰ التوحيد وإلىٰ اتباع الرسول وهذا واجب علىٰ العلماء وفرض عليهم.

وهذا أخذه المؤلف من الكتاب والسنة كقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

فالواجب أن يدعو العلماء إلىٰ توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك معه وإلىٰ الإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه واتباع ما جاء به وترك مخالفته.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية.

الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته. أي: قل هذه طريقتي ومحجتي التي أنا عليها من توحيد الله والإخلاص له وإيتاء الزكاة وغيرها. وهذا هو سبيل الله وصراطه المستقيم وهو الإسلام والهدىٰ والإيمان.

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾: لا إلىٰ ملك أو حظ أو مال أو شأن من شئون الدنيا، بل إلىٰ توحيد الله واتباع شرعه.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: علىٰ علم وهدىٰ. ومن اتبعني: أي: أتباعي كذلك يدعون علىٰ بصيرة. فأتباعه هم أهل البصائر والعلماء الذي يدعون ودعوتهم علىٰ بصيرة، ومن لم يدع إلىٰ سبيل الله من العلماء فليس من أتباعه علىٰ الحقيقة فأتباعه لا يسكتون، ولا يدعون علىٰ جهالة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] أي: بالعلم وهذه هي وظيفة الأنبياء كلهم والعلماء والصالحين وهذا هو الواجب علىٰ من عنده علم ويدعو في كل مكان في المسجد وغيره ويصبر.

حديث ابن عباس أن رسول الله لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال: ...

قال له: أي: أوصاه.

من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية: **إلىٰ أن يوحدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1] أخرجاه.

«**إنك تأتي قومًا أهل الكتاب**»: أي: فليسوا جهالًا بل عندهم علوم وشبه، فنبهه ليستعد لهم وليبلغ لهم أمر الله.

قوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»: أي: لا تلتفت إلىٰ شبههم وعلومهم بل بلغهم التوحيد، وإلىٰ أن يوحدوه وأن يخصوه بالعبادة دون غيره كالعزير وعيسىٰ وأحبارهم ورهبانهم. وفي رواية «**عبادة الله**» وهي تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: «**فإن أطاعوك لذلك**»: أي: أخلصوا العبادة وتركوا غيره.

قوله: «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...**» هذا يدل علىٰ أن المشرك يدعىٰ أولًا إلىٰ التوحيد، فإن أجاب دعي إلىٰ الصلاة، فإن أجاب وأقامها، دعىٰ إلىٰ الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وترد علىٰ الفقراء. وذكر الفقراء هنا يدل علىٰ أنهم أهم الأصناف، لذلك بدأ بهم في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

قوله: «**فإن أجابوك فإياك وكرائم أموالهم**»: أي: لا تأخذ الأموال الثمينة عندهم بالقوة بل الوسط — لأن الأموال: كريمة ومتوسطة ولئيمة - إلا إن طابت نفسه بالكريمة فهو أفضل لهم.

«**واتق دعوة المظلوم**»: أي: احذر أن تظلمهم فيدعون عليك فتصيبك دعوتهم.

ودعوة المظلوم مستجابة.

وإنما اقتصر علىٰ هذه الأمور الثلاثة لأنها أهم الأمور، ومن أجاب إليها أجاب إلىٰ ما سواها من الحج والصوم وغيرها لأنهم إذا استجابوا للأمور الثلاثة المتقدمة فإن إجابتهم عن إيمان وقناعة وهذا الإيمان يدفعهم إلىٰ بقية الشرائع.

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

۞ ولهما عن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله علىٰ يديه**»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتىٰ به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «**انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه،**

ولذلك اقتصر عليها القرآن: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ....**» فالأصول الثلاثة هذه هي الأم.

۞ **ولهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال:** «**لأعطين الراية غدًا رجلًا...**» وخوض الصحابة في من يعطاها وتمنيهم لها لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر تعيين أن هذا الرجل بعينه يحب الله ويحبه الله، ففيها زيادة فضل ومزية، ولذا قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ.

۞ **قوله:** فبرأ: فيها فائدتان: إنها من علامات صدق النبي عليه الصلاة والسلام.

وهي آية من آيات الله الدالة علىٰ قدرته العظيمة.

۞ **قوله:** «**علىٰ رسلك**»: أي: علىٰ مهلك.

۞ **قوله:** «**بساحتهم**»: أي: بقربهم ليكون أشجع للمؤمنين وأرهب للأعداء.

أما البعيد فيضعف الجند ويشجع الأعداء.

۞ **قوله:** «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام**»: ولو كانوا قد دعوا من قبل من باب إقامة الحجة وكمال المعذرة، وهذا يدل علىٰ أنه ينبغي الاهتمام بالدعوة والحرص عليها قبل القتال، ولو كانوا قد دعوا لعلهم يهتدون. ويستحب التكرار إذا دعت الحاجة خاصة من اليهود الذين يعرفون الحق ولكنهم يحبون الدنيا ويحسدون المؤمنين.

۞ **قوله:** ففتح عينه: منقبة أخرىٰ لعلي ﷺ.

فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم»[١] يدوكون: يخوضون.

۞ **قوله: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك...»** فيه عظم الدعوة إلىٰ الله وأنها أهم من القتال بل هي المقصودة من القتال ولذلك بعثت الرسل.

۞ **قوله: «حمر النعم»**: بضم الحاء وسكون الميم جمع أحمر. لا بضم الحاء والميم جمع حمار فليس مراد هنا. والمعنىٰ أي: خير لك من الإبل الثمينة. وفيه بيان أهمية الدعوة وتعليم الناس، فإن أبوا قوتلوا ليكف شرهم ولا يكونوا عقبة في طريق غيرهم إلىٰ الإسلام ويستعان بهم وبأموالهم في سبيل الله.

۞ **قوله: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك»**: لا مانع من أن يعم الحديث حتىٰ المسلم العاصي.

ويجوز أن يباغتهم بالحرب إن بلغتهم الدعوة كما أغار النبي ﷺ علىٰ بني المصطلق وإن تكررت الدعوة قبل القتال للمصلحة فلا بأس. وفيه جواز القسم وإن لم يحلف لتأكيد أمر، وقد يشرع ويستحب عند الحاجة لتأكيد أمر حتىٰ يعلم المخاطب أنه حق.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩)، ومواضع، ومسلم (٢٤٠٥، ٢٤٠٦، ٢٤٠٧).

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

بين المؤلف هنا تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بما يوافق لفظها وبما يضادها لأن الشيء يعرف بضده وقد قيل: والضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء، وذكر هذا الباب لتعرف حقيقة التوحيد، وحقيقته: هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها وبجميع أنواع العبادة. فتؤمن بذلك بالقلب وتعمل بالجواح.

❁ **قوله: «وشهادة أن لا إله إلا الله»:** هذا من باب عطف الدال – الشهادة – علىٰ المدلول وهو التوحيد. فالتوحيد هو شهادة بالله وحده.

❁ **قوله تعالىٰ:** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

❁ **وقبله قوله:** ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦] فدعاء من لا يملك كشف الضر أو جلب النفع من دون الله هذا هو الشرك وضده هو التوحيد.

❁ **فقوله:** ﴿قُلِ ادْعُوا﴾ أي: قل يا محمد هؤلاء ادعوا الذين زعمتم – توبيخ لهم وتقريع – أي: ادعو آلهتكم الذين تدعون من دون الله ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ﴾ أي: الضر كله ﴿وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ ولا تحويله من مكان إلىٰ آخر من الرأس إلىٰ الرجل مثلًا. بل هذا الله وحده هو الكاشف للضر والجالب للنفع.

❁ **وقوله:** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء: ٥٧]: أراد بهم من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين لذلك قال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: هؤلاء المدعون صالحون في أنفسهم ومع ذلك لا يملكون كشف الضر ولا تحويله، فغيرهم من الأصنام من باب أولىٰ.

والوسيلة: التقرب إلىٰ الله بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يجتهدون إلىٰ الله بتوسلهم وعبادتهم له بأنواع الطاعات ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ لأنهم عبيده ويرجونه ويخافونه فيكف يستغاث بهم؟.

❁ وقولـــه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] الآية.

❁ وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

❁ وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

❁ وقولـــه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] هذا تفسير التوحيد بمعناه فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ كقولنا: لا إله، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ كقولنا: إلا الله، والفطر: الخلق.

فبين أن معنىٰ التوحيد البراءة من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها والرد عليها والتوحيد لله وحده بجميع أنواع العبادات.

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

❁ وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

بين أن هذا شرك بالله، وأن التوحيد هو أن لا يعبد إلا الله، لا راهب ولا حبر ولا نبي ولا صالح. خلافًا لما فعله اليهود من اتخاذ الأحبار. والنصارىٰ من اتخاذ الرهبان أربابًا بحيث يحلون ما أحلو ويحرمون ما حرموا بدون دليل وإن خالف شرع الله، وما جاءت به الرسل، فصاروا بهذا عابدين لهم. لأنهم أطاعوهم فيما خالف الشرع وقدموه عليه كما في حديث عدي بن حاتم **«فتلك عبادتهم»**[1] ويصير بذلك مشركًا كما قال بعد ذلك ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فائدة:

بالنسبة لأصحاب القبور فقد اتخذوهم القبوريين آلهة من دون الله والواجب أن يبين لهم الحق لأن عملهم كفر من أعظم الكفر ولكن لا يقتلون بل يبين لهم الحق لإقامة الحجة عليهم فإن أصروا قتلوا إن يسر الله من يقيم ذلك عليهم.

❁ قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢١٨)، والبيهقي في الكبرىٰ (٢٠١٣٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

۞ **وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»**[1]. **وشرح هذا الترجمة**: وما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبيّنها بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء، بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!. ومنها: قوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».**

هذا أيضًا من تفسير التوحيد بضده، وهو عن الذين يتخذون أندادًا يحبهم ويعظمهم ويدعوهم ويستغيث بهم أو يحبهم حبًّا خاصًّا يقتضي عبادتهم من دون الله هذا هو الشرك الأكبر، والله ذم هؤلاء وتوعدهم بالنار كما في آخر الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٧].

۞ **وفي الصحيح مرفوعًا: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل»** رواه مسلم عن سعد بن طارق الأشجعي.

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

وهذا من أعظم ما يبيِّن معنىٰ «**لا إله إلا الله**» فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

وقوله: «من قال لا إله إلا الله» وفي رواية: **«من وحد الله»**. وهذا يبين معنىٰ لا إله إلا الله وأنه هو التوحيد.

قوله: «كفر بما يعبد من دون الله»: أنكر كل ما يعبد من دون الله واعتقد ذلك بقلبه، **«حرم ماله ودمه»**: أي: صار مسلمًا ويلزمه القيام بشرائع الله.

«وحسابه علىٰ الله»: فإن كان صادقًا فله الجنة، وإن قالها بلسانه لا بقلبه فهو من المنافقين حكمه حكمهم في الدنيا وفي الآخرة في النار. اهـ.



٧- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [الزمر: ٣٨] الآية.

عن عمران بن حصين ﷺ، أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**»[(١)] رواه أحمد بسند لا بأس به، وله عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**»[(٢)] وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»[(٣)]، ولابن أبي حاتم عن حذيفة: أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمىٰ فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

[هذا الباب لم يقرأ علىٰ الشيخ].



----

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٠١٤)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٠٢٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧٤٤٠)، وأبو يعلىٰ في مسنده (١٧٥٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٦٦٠)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لجهالة خالد بن عبيد المعافري.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٥٨)، والهيثمي في المجمع (٨٣٩٩)، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات. وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٣٤٠).

٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم

❁ في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن: «**لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**»(١).

❁ وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»(٢) رواه أحمد وأبو داود.

❁ وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»(٣) رواه أحمد والترمذي.

❁ **أي**: النصوص التي جاءت في تحريم التمائم والتفصيل في الرقىٰ. لأن التمائم جنسها محرم وبعضهم فصل فيها والصحيح أنها محرمة.

والتمائم: شيء يعلق علىٰ الأولاد من العين. وقد دلت الأدلة علىٰ تحريمها كما سيأتي للمريض وللأطفال.

❁ **أما الرقىٰ ففيها تفصيل**: فتجوز بثلاثة شروط:

١ - أن يكون بلسان مفهوم المعنىٰ بالآيات والدعوات المعروفة.

٢ - ألا يخالف ذلك المعنىٰ الشرع.

٣ - ألا يعتقد أنها تنفع بسببها، وفي الحديث: «**لا بأس بالرقية ما لم تكن شركًا**» وتقدم.

التولة: عرَّفها المؤلف. ويصنعونه بالجن والشياطين ويسمونها سحر وعطف وصرف، والسحر كله كفر للآية ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

❁ **قوله في حديث عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وكل إليه»** رواه أحمد.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥)، والطبراني في الكبير (١٠٥٠٣)، والأوسط (١٤٤٢)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٩٣٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٧٢)، والنسائي (٤٠٧٩)، وأحمد (١٨٨٠٣)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٢٤٧٧).

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

فينبغي للإنسان أن يعتمد ويتوكل على الله وحده فهذا هو الذي ينفعه مع الأخذ بالأسباب كما في الحديث: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**»[(١)] فالأخذ بالأسباب أمر لازم من الأدوية والاستقامة على شرعه وتعاطي أسباب العافية وطلب الرزق. فالأسباب ما بين الواجب والجائز، فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة، والأخذ بذلك لا يقدح في التوحيد بل تركها يقدح في العقل والتوحيد جميعًا.

وإن كانت التمائم من القرآن فرخص فيه بعضهم كعبد الله بن عمر، ومنعه آخرون كعبد الله بن مسعود، وهو الصواب وعليه تدل الأدلة، والواجب حسم هذا الباب والقضاء عليه بالكلية سدًّا لذرائع الشرك وعملًا بالأدلة.

ولا ينبغي تعليق التمائم على الأولاد بل يعوذهم كما عوذ النبي ﷺ الحسن والحسين بأدعية التعوذ[(٢)].

والكتابة في الورق والصحن فعله بعض السلف، وروي عن ابن عباس ولكن لم يثبت ولا بأس به، ذكره ابن القيم في الزاد ولكن الرقية أفضل.

والتداوي لا بأس به، وفي الحديث «**عباد الله تداوا ولا تتداوا بحرام**»[(٣)] وأصح ما فيه الاستحباب، وقال مالك: هو مستوي الطرفين. أي: مباح.

---

(١) رواه ومسلم (٢٦٦٤).

(٢) روى البخاري في صحيحه برقم (٣٣٧١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**».

(٣) رواه أبو داود (٣٨٧٤)، والطبراني في الكبير (٦٤٩)، والبيهقي في الكبرى (١٩٤٦٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٤٣).

❁ **وروىٰ أحمد عن رويفع قال:** قال لي رسول الله ﷺ: **«يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه»**[1].

❁ **وعن سعيد بن جبير** رحمه الله**، قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»**[2] رواه وكيع.

❁ **وروىٰ أحمد عن رويفع قال: «يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس...»** وفيه أربع مسائل:

قوله: «لعلها تطول بك»: هذا علىٰ سبيل الظن والرجاء وقد طالت به الحياة ومتع.

١ - **قوله: «عقد لحيته»** قال أهل العلم: معناها: جعدها ونفشها للتكبر والتعاظم. وقيل: أي: صففها تصفيفًا يناسب ميوعة النساء وأهل التخنث.

أما العناية بها تسريحًا وتكريمًا فهذا ليس منه. والحديث فيه لين وله شواهد.

٢ - **قوله: «تقلد وترًا»** وهو ما يتخذ من الأمعاء وغيره وكانت الجاهلية تقلدها الإبل والصبيان حذر العين.

٣- **قوله: «أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم»**: جاءت الأحاديث بالنهي عن الاستنجاء بهما لأنهما لا يطهران وفيه تشبه بالجاهلية.

٤ - **قوله: «فإن محمدًا بريء منه»** وعيد شديد، وليس معناه أنه مشرك مثل قوله: **«ليس منا من ضرب...»** والشاهد هو النهي عن تعليق الأوتار وغيره مما يظنه ينفع كالخيط، والواجب أن يتعلق بالله وحده.

❁ **وعن سعيد قال: «من قطع تميمة من إنسان كان له كعدل رقبة»** رواه وكيع.

وكيع ابن الجراح توفي سنة (١٩٦).

وفي الحديث فضل قطع التمائم وأنه كعدل رقبة، لأنه سيخلص هذه الرقبة من النار ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة، وكلام سعيد قد يكون له سند وفيه وسع لأن سعيد قد لا يقول هذا برأيه، ويحتمل أنه من اجتهاده وفقهه.

---

(١) رواه أبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وأحمد (١٧٠٣٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٨٦٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٤٧٣).

❁ **وله عن إبراهيم قال**: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن[١].

ولكنه عند التحقيق والنظر هو أعظم من عتق الرقبة التي يكون بها الإنسان حرًّا، وتعليق التمائم من الشرك الأصغر، وخطره عظيم وقد يجر إلىٰ الشرك الأكبر.

❁ **وله عن إبراهيم قال**: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

إبراهيم بن يزيد النخعي، من التابعين من أصحاب أصحاب ابن مسعود يكرهون التمائم وكذلك شيخهم ابن مسعود يكره ذلك لسببين:

١ - لعموم الأحاديث الناهية.

٢ - سدًّا للذرائع الموصلة إلىٰ الشرك. فلا يعلق مصحف، ولا آيات منه، ولا أحاديث، ولا طلاسم ولا عظام فكله شرك.

مسألة:

لا يجوز وضع مصحف في السيارة بقصد حفظها من المصائب وكذا وضع حيوانات في السيارة وغير ذلك. اهـ.



---

(١) رواه ابن أبي شيبة أيضًا (٢٣٤٦٧).

٩- باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

❁ وقـول الله تعـالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾...﴾ [النجم: ١٩- ٢٢] الآيات.

❁ عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسـول الله ﷺ إلىٰ حنـين ونحـن حـدثاء عهـد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بهـا أسـلحتهم، يقـال لهـا: ذات أنـواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ:

نحوها كالقبر والصنم وغيرها.

التبرك: هو طلب البركة منها كما يفعل عباد القبور والأحجار والأصنام، وتـرك الحكـم ليأخذه الطالب مما ذكره من النصوص. والحكم: هو أنه قد أشرك لما سيذكر المؤلـف. وهـذا التبرك من فعل الجاهلية وجاء الإسلام فأبطل ذلك.

فمنهم من أجاب وهم قلـة، ومـنهم مـن أعـرض وهـم كثـرة ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] أما في الجزيرة فقد أجاب أكثرهم بعدما فتح الله مكة.

❁ **قولـه تعـالىٰ**: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ١٩- ٢٢].

أفرأيتم: أي: هل نفعت هذه الأصنام أم ضرت؟ والمعنىٰ: أنها لم تنفع ولم تـضر، وكـانوا يسألونها ويتبركون بها ويستغيثون فأبطل الإسـلام ذلـك. وكـان العـزىٰ لأهـل مكـة ومـن سايرهم، مناة لأهل المدينة، اللات لأهل الطـائف ومـن نهـج مـنهجهم، وقـد أزيلـت هـذه الأصنام يوم فتح مكة لكن أخبر النبي عليه الـصلاة والـسلام في الحـديث قـال: «**لا تـذهب الليالي والأيام حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ**»[1].

❁ **حديث أبي واقد قال**: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن...

قوله: نحن حدثاء عهد بكفر: قريبو عهد بكفر، وهذا كالعذر، أي: ولهذا جهلنا الأمر.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٧)، بلفظ: «لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ».

«الله أكبر! إنها السنن، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم»(١). رواه الترمذي وصححه.

سدرة: شجرة النبق.

يعكفون: يقيمون عندها.

ينوطون: أي: يعلقون بها أسلحتهم للتبرك والبركة التي تحصل لها علىٰ زعمهم أنها تكون أمضىٰ للسيف وأقوىٰ وأشد.

اجعل ذات أنواط: أي: لنتبرك بها ونعلق سيوفنا عليها للبركة.

«**الله أكبر**»: وهذا من عادته ﷺ إذا رأىٰ شيئًا ينكر قال الله أكبر أو سبحان الله، وهذا من السنة أن يقول الإنسان ذلك عند الإنكار وكذلك عند الإعجاب بشيء كما في الحديث: «**وأنتم ربع أهل الجنة**» قالوا: فكبرنا(٢).

«**إنها السنن**»: أي: عبادة الأشجار والأحجار والتبرك بها هي السنة المعروفة عند الناس السابقين أي هي طريقة الناس قديمًا ودائمًا.

بنو إسرائيل: وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وبنوه هم اليهود ومن انتسب إلىٰ إسرائيل.

اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة: هذا قاله اليهود لموسىٰ فرد عليهم موسىٰ وذكرهم بالتوحيد، وهكذا هؤلاء تأسوا بأولئك جهلًا ولم يكونوا يعرفون حكمه لأنهم حدثاء عهد بكفر.

وهذا يدل علىٰ أن الاعتبار بالحقائق لا بالألفاظ لأنهم طلبوا شيئًا يعظمونه ويتبركون به كما فعل بنو إسرائيل وإن اختلفت ألفاظ الفريقين فالباطل باطل وإن اختلف الألفاظ.

«**لتركبن سنن من كان قبلكم**»: بضم السين وبفتحها. وهي: الطرق.

---

(١) رواه أحمد (٢١٩٤٧)، والترمذي (٢١٨٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٠٢)، والطبراني في الكبير (٣٢٩١)، ومواضع، والهيثمي في المجمع (١١٠١٦)، وصححه العلامة الألباني ﷫ في مشكاة المصابيح (٥٤٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومواضع، ومسلم (٢٢١، ٢٢٢).

أي: أن هذه الأمة ستبتلىٰ بما ابتليت به الجاهلية من عبادة القبور والأحجار والتبرك بها وهذا حصل. وقاله عليه الصلاة والسلام إخبارًا بأنه سيقع، فحذر منه وأن الواجب هو الثبات علىٰ عبادة الله وحده كما فعل الأنبياء، أما التبرك بالقبور وغير الله فهذا من فعل اليهود والنصارىٰ وأهل الكفر.



١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله

۞ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣] الآية.

۞ **وقوله:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

۞ **عن علي** رضي الله عنه **قال:** حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوىٰ محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض**»[1] رواه مسلم.

أي: ما جاء فيها من الوعيد وأنها من الشرك الأكبر كما دلت الأدلة.

۞ **وقوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

قل: يا محمد. نسكي: ذبحي، وقيل: تعبدي ويشمل الذبح.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: أي: ما أحيا عليه وأموت من العبادات والأعمال هي لله وحده، وتبين الآية أن الذبح عبادة وأنها لله ولا تنبغي أن تكون لغيره.

ومن ذبح لغيره من الجن والأصنام والقبور فهو كمن صلىٰ وعبد غير الله لأن كل من الصلاة والذبح عبادة حيث قرن الله بينهما. ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾: أمره الله.

۞ **قوله تعالىٰ:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

أي: صلِّ لله وانحر له شكرًا علىٰ نعمة نهر الكوثر.

وهذا يدل علىٰ أن النحر والصلاة عبادة لأنه أمر بهما فمن نحر لغير الله فقد أشرك.. كما لو صلىٰ لغير الله فمن ذبح للصنم والجن وغيرهم فقد أشرك.

۞ **عن علي** رضي الله عنه **قال:** حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله...**».

من ذبح لغير الله: وبدأ بها لأن الشرك أعظم الذنوب. واللعن: الطرد وهذا يدل علىٰ أنه من الكبائر الشركية كما في الحديث: «**أكبر الكبائر الشرك بالله**»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومواضع، ومسلم (٨٧).

❁ وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «**مر رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتىٰ يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة**»[1] رواه أحمد.

«**لعن من لعن والديه**»: وهذا من الكبائر أيضًا. ومن هذا أن يلعن غيره فليعن الآخر والديه فيكون سببًا في لعن والديه كما في حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» فقيل: يا رسول الله وهل يسب الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**»[2].

وسب الناس من الكبائر إن كان بغير حق وفي الحديث: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[3] وروىٰ البخاري من حديث ثابت بن الضحاك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لعن المؤمن كقتله**»[4] وأخرج مسلم: «**أن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»[5].

«**آوىٰ محدثًا**»: أي: من أوىٰ أهل البدع والمعاصي ونصرهم فإنه ملعون.

وكذلك من يمنع من إقامة الحد عليهم، ومن يقيم البدع وينصرها.

«**غير منار الأرض**»: المنار: المراسيم سميت منار لأنها تميز وتبين وتعرف حدود الأراضي وتدل عليها، فالذي يغيرها ملعون لأنه قد يؤدي إلىٰ المشاكل والمصائب والمقاتلة.

ويلحق به ما يرشد الناس إلىٰ الطرق والبلدان والمياه فمن غيرها فهو داخل في اللعن.

❁ **حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب..».**

وطارق من صغار الصحابة وغالب روايته من طريق أبي موسىٰ الأشعري فهي مرسلة صحيحة فمرسل الصحابي صحيح.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٣٠٣٨) موقوفًا عن سلمان ﷺ، وكذا البيهقي في الشعب (٧٣٤٣)، وأحمد في الزهد (١/ ١٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٣) رواه البخاري (٤٨)، ومواضع، ومسلم (٦٤).

(٤) رواه البخاري (٦١٠٥، ٦٦٥٣)، ومسلم (١١٠).

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٨).

....

قوله: «في ذباب»: أي: بسبب ذباب فـ «في» للسببية.

الصنم: ما نحت علىٰ صورة، وما ليس له صورة يقال له: وثن ويطلق علىٰ الأصنام أوثانًا أيضًا.

«لا يجوزه»: لا يتعداه.

«ليس عندي شيء أقرب»: فاعتذر بأنه ليس معه شيء يقرب ولم ينكر ذلك فطمعوا فيه فأموره أن يقرب ولو ذبابًا فدخل النار. وهذا يدل علىٰ أن التقريب للأصنام وغيره ولو كان شيئًا حقيرًا فهو من الشرك لأن الذبح والتقرب لا يجوز إلا لله.

«وقال الآخر: ما كنت أقرب شيئًا إلا لله». فهذا أعرض وبين أنه لا يجوز وامتنع فدخل الجنة. وهذا يحتمل أمرين:

الأول: إما أن شريعتهم ليس فيها عذر بالإكراه ولهذا لم يأخذ بالرخصة ويتخلص من شرهم.

الثاني: يحتمل أنه ترك الرخصة وأخذ بالعزيمة لقوة إيمانه ويقينه فقتلوه.

وفي شريعتنا: أن من أكره علىٰ الشرك ففعل ما أكره عليه بقصد التخلص من شرهم ولم يطمئن قلبه بذلك فلا حرج لقوله تعالىٰ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فيأخذ بالرخصة حتىٰ لو قال الكفر بلسانه.

وحديث طارق رواه أحمد في الزهد وذكره ابن القيم بسند جيد. اهـ.



١١- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

❁ عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»(١) رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما.

أراد به لا يجوز للمؤمنين التشبه بأهل المعاصي ولا مشاركتهم في أماكن المعصية وفي أماكن تعبدهم ولو بغير الذبح حتىٰ لا ينسب إليهم ويشاركهم. فإذا ذبح في مكان يذبح فيه لغير الله فإنه قد ينسب إلىٰ أهل السوء أو يظن به السوء والمؤمن يبتعد عن ذلك كله.

❁ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

هذا نزل في مسجد الضرار وهو مكان بناه المنافقون لإيواء بعض الكفرة ليكون حصنًا لهم يجتمعون ويتعاونون فيه علىٰ قتال النبي ﷺ ولكنهم أخفوا ذلك وأظهروا أنهم بنو المسجد لإيواء الضعفاء والمساكين في الليالي الشاتية وطلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام أن يصلي فيه قبل ذهابه إلىٰ تبوك ولكنه أجله إلىٰ عودته ولما رجع وقبل المدينة أنزل الله ما يفضحهم ويبين مقاصدهم الخبيثة، فبعث النبي عليه الصلاة والسلام من يهدمه.

فمعنىٰ ذلك أن محلات الكفر والضلال يجب التخلص منها وعدم إبقائها حتىٰ لا يستعان بها علىٰ الفساد. واستدل به المؤلف علىٰ أن المكان المعد للذبح لغير الله أو الصلاة لغير الله أو معد للفسق والمعاصي يجب ألا يبقىٰ حتىٰ لا يفسد المسلمين، ولا ينسب إليهم وهذا قياس جلي والقياس ثابت كما في حديث: «**فلعل ابنك هذا نزعه عرق**»(٢).

❁ **عن ثابت بن الضحاك قال:** نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة فنسأل الرسول...

بوانة: موضع بأسفل مكة ويقال: إنها بالقرب من ينبع.

---

(١) رواه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٢٨٣٤).

(٢) رواه البخاري (٥٣٠٥، ٦٨٤٧)، ومسلم (١٥٠٠).

....

«هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» و**«هل كان فيها عيدًا من أعيادهم؟»** خاف الرسول أن يكون خص المكان لأنه كان فيه وثن من أوثان الجاهلية أو عيدًا من أعيادهم، وهذا سيتأس بهم. فدل علىٰ أن المؤمن ينبغي أن يبتعد عن أماكن الجاهلية ولا يخصها بعبادة حتىٰ لا يتشبه بهم وينسب إليهم. فلما أخبره أنه ليس فيها ذلك أمره أن يوفي بنذره فيدل علىٰ وجوب الوفاء بالنذر إذا لم يكن قصده مشابهة المشركين والكافرين وأشباههم.

فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله: كما إذا نذر أن يشرب الخمر فلا يوفي بنذره، واختلف العلماء في الكفارة علىٰ قولين:

الأول: إنه نذر باطل ولا كفارة عليه، واحتجوا بعمومات ولكن جاء عدة أخبار تدل علىٰ وجوب الكفارة وهو الراجح وهو القول الثاني.

«ولا فيما لا يملك ابن آدم»: كأن يقول لله عليَّ أن اعتق عبد فلان فنذره باطل.

فالشاهد: أن المؤمن لا ينبغي أن يفعل الطاعة في مكان من أماكن الجاهلية والشرك والمعاصي إلا إذا غير هذا المكان وصار مسجدًا مثلًا أو بيتًا وزالت عنه آثار الجاهلية ونسيت فلا بأس كما أمر النبي بهدم اللات وبناء مسجد مكانه فهذا يجوز التعبد فيه.

مسألة:

إذا حصل شرك أو بدع عند القبور فهذا لا يمنع من زيارتها الشرعية كما إذا حصلت المعصية في المسجد فلا يمنع من الصلاة فيه.

مسألة:

أمر عمر بن الخطاب بالصلاة في الكنيسة لأنهم اتخذوها معبدًا لله لكن عبادتهم ليست مستقيمة وفيها شرك وباطلة، فلعل الشبهة أنهم اتخذوها معبدًا لله أو أن المؤمنين مضطرون للصلاة فيها عند مرورهم منها عند أسفارهم فقد يكون للضرورة أو لأن جنس عبادة الله متفق عليها بينهم فيما يتعلق بالصلاة.



١٢- باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[(١)]

أي: من الشرك الأكبر وهو شرك الجاهلية وشرك عباد القبور الذين ينذرون لهم ويستغيثون بهم ويطلبون الحوائج منهم، وهو الذي بعث الأنبياء لإنكاره وهذا كان عند الجاهلية، أما الشرك الأصغر: فهو كالرياء والحلف بالنبي وقول ما شاء الله وشئت.

وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧].

هذا مدح للمؤمنين الذين يوفون بالنذور الطيبة الشرعية، وهذا يدل علىٰ أن النذر عبادة يجب صرفها لله واختصاصه بها سبحانه وحده.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

أي: أن الله يعلم نفقات العباد ونذورهم فيجازيهم عليها إن كانت لوجه الله، فدل علىٰ أن النذر عبادة حيث قرنه بالنفقات والنفقة عبادة إذا كانت لوجه الله كالصدقات علىٰ الفقراء والمساكين.

فإذا نذر وتصدق بشيء للقبر أو لبنائه أو لآلهة معينة صار هذا شركًا أكبر بالله.

وفي الصحيح: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي فلا يعصه**».

وهذا يدل علىٰ أن الطاعات يجب الوفاء بنذورها، كأن يقول: لله علىٰ كذا، أما المعاصي فلا يجوز الوفاء بنذورها.



---

(١) رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

❁ **وعن خولة بنت حكيم** رضي الله عنها **قالت:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتىٰ يرحل من منزله ذلك**»[1] رواه مسلم.

أي: من الشرك الأكبر كبقية العبادات التي صرفها لغير الله شرك أكبر. لأن الاستعاذة عبادة كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] أما الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر القادر فلا بأس بها كما تقول لرجل: أعوذ بك من غلامك أو ابنك، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] أما الاستعاذة بالميت أو الغائب أو الحجر والصنم فهو شرك أكبر.

❁ **قال تعالىٰ:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

نزلت هذه في أناس كانوا يعوذون بسادات الجن وكانت العرب في الجاهلية إذا نزلوا منزلًا قالوا: نعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه فهو كان من عمل الجاهلية والواجب صرف كل هذا لله.

زادوهم: الواو للجن والهاء للإنس أي: زاد الجن الإنس رهقًا، وهو الخوف والزعر، فلما خاف الإنس من الجن تكبرت الجن.

وقال بعض السلف: الواو للإنس والهاء للجن أي: زاد الأنس الجن رهقًا ويكون معنىٰ الرهق الطغيان والاستكبار.

وكلا المعنيين حق فإذا تعوذ الإنسان من الجن فهو تعظيم للجن ويزاد الجن طغيان وتكبر ويقابله خوف الإنس من الجن.

وقد ذكرهم الله في معرض الذم فيجب ترك فعلهم.

❁ **وعن خولة بنت حكيم قالت:** سمعت الرسول ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا فقال..**» يستحب قول هذا الدعاء عند نزول منزل ويدل علىٰ فضل هذه الاستعاذة وأنها من أسباب العافية من شر الجن والإنس. وهكذا إذا ركب الطائرة أو السيارة أو القطار ونحوه أن يقول ذلك. وجاء في حديث إنه يستحب تكرارها ثلاثًا، وكان النبي ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

كلمات: معناها أي: كلمات الله النافذة والكونية التي لا راد لها.

وقال بعض السف: المراد بالكلمات: الشرعية وكلمات القرآن لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله. وكل هذا حق وكلها وصف له سبحانه.

فكلامه الكوني نافذ وكلامه الشرعي أفضل الكلام.

وفيه توسل بصفات الله. وبهذا استدل السلف علىٰ أن كلام الله غير مخلوق لأنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله فدل الحديث علىٰ أن الكلام صفة من صفات الله ويجوز التعوذ به وإنه غير مخلوق.

«**لم يضره شيء**»: فنكرة في سياق النفي فتعم كل شيء.

وهذه يدل علىٰ فضلها فينبغي العمل بها.

والتعوذ بغير الله وبغير صفاته لا يجوز بالإجماع وإنه شرك.



١٤- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

❁ وقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧] الآيتان.

❁ وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية

❁ وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيتان.

هذا من عطف العام علىٰ الخاص لأن الاستغاثة من الدعاء فكل مستغيث داعي وليس كل داع مستغيث، فالمستغيث هو الذي يدعي عند شدة الكربة كما في الآية ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى...﴾ [القصص: ١٥] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] فالذي يستغيث عند المرض أو خوف الغرق بالرسول أو البدوي فهذا من الشرك الأكبر، وكان المشركون في الجاهلية يخلصون الدعاء لله في الشدائد لأنهم يعلمون أنه لا ينجي إلا الله، أما مشركي زماننا فشركهم في الرخاء والشدة فالاستغاثة عند الشدائد شرك أكبر ويسمىٰ مستغيثًا وإذا دعاهم في الرخاء يسمىٰ داعيًا وكلاهما شرك والأدلة هي:

❁ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [يونس: ١٠٦].

أي: من المشركين ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فبين الله أن من دعا من دون الله ما لا ينفع ولا يضر وهذا وصف عام لجميع المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر استقلالًا. ونفعها وضرها بالله وحده. وأن من دعا غير الله فهو مشرك، ويستثنىٰ من ذلك دعاء الحي القادر الحاضر فهذا ليس بشرك بإجماع المسلمين كأن يدعوه ليحمل معه أو يسلفه أو...

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، هذا علىٰ أن الخلق غير قادرين علىٰ جلب النفع أو دفع الضر ولهذا فكيف يعبد غيره وهو عاجز.

❁ ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

أمر بالطلب من الله وحده والاستغاثة به وحده وعبادته وحده وألا يطلب من غيره شيئًا ويستثنىٰ ما تقدم.

❁ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥].

❁ **وقوله**: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

❁ وروىٰ الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل**»[1].

هذه الآية تبين أنه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله لأنه لم يفلح في الدنيا، وفي الآخرة خاسر إلىٰ النار. ووصف المدعوون من دون الله بأربعة أوصاف:

الأولىٰ: عدم استجابتهم لهم إلىٰ يوم القيامة.

الثانية: أنهم غافلون عن دعائهم إما لأنهم أموات أو جماد لا إحساس له أو حي مشغول أو ملك لا علم له بمن دعاه.

الثالثة: أنهم يكونون أعداء لمن عبدهم يوم القيامة.

الرابعة: أنهم يبرؤون من عبادتهم وينكرونها.

❁ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]. أي: لا أحد يستطيع فعل ذلك فلا ينبغي طلبه إلا من الله.

❁ وروىٰ الطبراني بإسناده أنه كان هناك منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم... جاء في رواية أخرىٰ أنه عبادة بن الصامت وأن المنافق هو عبد الله بن أُبي ابن سلول وفي إسناده بعض الضعف.

والصحابة لم يطلبوا الغوث بالرسول ﷺ إلا لأنه يقدر أن يخلصهم منه إما بقتله أو بحبسه وهم يعلمون أن الاستغاثة بالحي القادر جائزة ولهذا ذهبوا إليه.

قوله: «**لا يستغاث بي**»: يحتمل أمرين:

الأول: أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان ممنوعًا من قتله لأجل ألا يتحدث الناس بأن محمدًا يقتل أصحابه فامتنع من قتله.

---

(١) رواه الهيثمي في المجمع (١٧٢٧٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. وروىٰ أحمد حديثًا نحوه (٢٢٧٥٨)، بلفظ: فقال أبو بكر ﷺ: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالىٰ**».

....

الثاني: يحتمل - إن صح الخبر - أنه قال سدًّا للذريعة وإن كان قادرًا علىٰ التخلص منه، حتىٰ لا تقع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها.

والشاهد: أنه لا يستغاث بغير الله إلا فيما يقدر عليه الحي.

١٥- باب في التوحيد وغربة الدين

* قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢] الآيتان.

* وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣] الآية.

* وفي الصحيح عن أنس قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح

---

* ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١].

أراد المؤلف من هذه الترجمة بيان ما عليه أهل الشرك في عهد النبي ﷺ عندما دعاهم وقاتلهم فيبين بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله ممن هذا وصفه.

وبهذا الوصف فإنهم لا يستحقون العبادة. وهذا استفهام للتوبيخ، فهم لا يخلقون حتى النملة بل هم مخلوقون فكيف ينفعون غيرهم، فهم إما جماد لا يعقلون أو أحياء لا يسمعون أو أموات لا يجيبون من دعاهم وفي الآية صفات هؤلاء المعبودون من دون الله وهي أربعة:

١- أنهم لا يخلقون شيئًا.

٢- أنهم مخلوقون مربوبون.

٣- أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا.

٤- أنهم لا ينصرون أنفسهم.

* ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]

وصف الله آلهتهم بأربع صفات كذلك:

١- أنهم لا يملكون شيئًا حتى القطمير.

٢- أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم.

٣- أنهم لو سمعوا ما استجابوا.

٤- أنهم يكفرون يوم القيامة بشرك هؤلاء. فهذه حالة المشركين وإنهم خسروا الدنيا والآخرة.

* **وفي الصحيح عن أنس قال:** شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال...

فإذا كان هذا أفضل الخلق وأقرب الناس منزلة، وأفضل الأنبياء لم يستطع أن يدفع عن نفسه

قوم شَجُّوا نبيهم؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][١].

❁ وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**» فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية[٢].

وفي رواية: يدعو علىٰ صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][٣].

❁ **وفيه عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال:** قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: ....

ولا عن أصحابه وهم أفضل القرون، وإذا كان كذلك لم يستحق أن يعبد من دون الله ويشرك به معه. وما حصل يوم أحد للنبي وأصحابه بذنوبهم إنما حصل لحكمة بالغة وهو أن محمدًا وأصحابه لا يدفعون الضر عن أنفسهم فكيف يدعون غيرهم من باب أولىٰ، والذنب هو مخالفة من كانوا علىٰ جبل الرماة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وتنازعهم.

❁ **حديث ابن عمر أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «اللهم العن فلانًا....».**

وقد دعا علىٰ الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وغيرهم من صناديد قريش ثم أسلموا وهداهم الله ولم تقبل دعوته فيهم ولا لعنه لهم.

فإذا كان سيد ولد آدم لم تقبل دعوته فيهم ولم يضرهم فكيف غيره؟ بل الله أعلم بأحوال عباده.

❁ حديث أبي هريرة لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

---

(١) رواه البخاري معلقًا في باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، ووصله مسلم برقم (١٧٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦)، وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٠٠٤)، والبيهقي في سننه الكبرىٰ (٢٩٤٨)، وأحمد في المسند (٥٦٧٤) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند الإمام أحمد من غير طريقه.

....«**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**»[1].

«**لا أغني عنكم من الله شيئًا**»: فنفىٰ أن تنفعهم قرابتهم له ﷺ إذا لم يؤمنوا بل أرشدهم إلىٰ شراء الإيمان واتباع ما جاء به الرسول وأن هذا هو طريق النجاة وهو التوحيد. وهذا هو الذي ينفعهم، أما ماله فيستطيع أن ينفعهم به. فعلم أن العبادة تكون لله وحده ولا يجوز طلبها من غيره وإذا كان النبي لا يستطيع نفع أحد دون الله فغيره أولىٰ.

وهذا فيه رد علىٰ المشركين الذين يطلبون النفع من غيرهم ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فسمىٰ الله فعلهم هذا عبادة وأمر نبيه بمقاتلتهم لأنهم مشركون.

أما دعاء الحي القادر فلا بأس به بل هي أسباب حسية معقولة ليس لها تعلق بالغيب ولا هي متعلقة بالأموات.



---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣، ٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

١٦- باب قول الله تعالى

❁ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]

❁ **وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة علىٰ صفوان ينفذهم ذلك. حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع** - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - **فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»**[1].

❁ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

أراد المؤلف بهذا الباب الرد علىٰ عباد القبور والأصنام والملائكة وغيرها، فبين أن الملائكة إذا كانت تخاف الله وتخاف عذابه إن خالفت أمره فكيف تستحق أن تعبد من دون الله؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فزع: أي: زال عنها الفزع والمراد بهم الملائكة كما في الأحاديث. فإذا ردت إليهم عقولهم قالوا: ماذا قال ربكم؟.

قالوا الحق: أي: قال بعضهم لبعض: هو الحق أي: قال ربنا كذا وقال كذا.

❁ فإذا سمعت الملائكة قول الرب عز وجل تضرب بأجنحتها خضعانًا.

«خضعانًا»: بفتح الخاء وضمها: أي: خاضعين وجلين مشفقين بين يدي الله تعالىٰ كأنه ضرب سلسلة الحديد علىٰ الصفوان. فيسمع مسترق السمع من الجن هذا الكلام من الملائكة وهم بعضهم فوق بعض فيلقيه بعضهم إلىٰ بعض حتىٰ يلقيها الآخر للكاهن أو الساحر، وتأتيهم الشهب فربما أدركتهم قبل أن يلقوها للساحر وربما أدركتهم بعد أن يلقوها.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ **وعن النواس بن سمعان** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالىٰ أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل علىٰ الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيث أمره الله عز وجل**»[١].

وهذا امتحان من الله لعباده وإلا لو شاء ما استرقوا شيئًا فتجتمع هذه الكلمات عند الساحر فيكذب معها مائة كذبة ويصدقون في واحدة فيقول الناس فيما بينهم: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا. فيصدقون الكلمات الكثيرة بسبب واحدة صحيحة، فلا ينبغي الاغترار بهؤلاء وتصديقهم لأن صدقهم إما بمشاهدة شيء في الدنيا وتناقله عن طريق الشياطين بعضهم لبعض. أو عن طريق مسترق السمع. فالواجب عدم الإصغاء إليهم وإن صدقوا أحيانًا.

❁ **وعن النواس بن سمعان** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة**» أو قال:....

سمعان: بفتح السين وكسرها.

«**فيكون أول من يرفع جبريل**»: ويقرأ جبرائيل أيضًا وهو أول من يفيق لأنه أشرف الملائكة وهو الرسول بين الله ورسله، وكلما مر من سماء سأله ملائكتها والمسترقون يسمعون هذا الكلام بين الملائكة وربما حفظوا شيئًا وألقوه إلىٰ السحرة والكهنة وربما أحرقوا ولم يبلغوا شيئًا حسب مشيئة الله.

فالواجب عبادة الله وحده لا حق فيه للملائكة ولا للرسل ولا غيرهم وهذا فيه دلالة علىٰ خوف الملائكة وفزعهم منه.

ومن صدق بأن الكاهن يعلم الغيب فهو كافر. وفي الحديث ثبوت صفة الكلام لله والإرادة وفيه فضل الملائكة.

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين برقم (٥٩١).

....

وفيه أن الشياطين تسترق السمع، وكان هذا قبل النبوة فلما بعث النبي ﷺ شدد عليهم في الاستماع. فلما مات صارت تستمع، فتارة تصيبهم الشهب قبل أن يستمعوا وتارة بعد أن يستمعوا.



١٧- باب الشفاعة

❁ وقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

❁ وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

قد تكلم الناس في الشفاعة واضطربت أقوالهم فيها وشذ المبتدعة بعقيدة باطلة لذلك احتاج العلماء إلىٰ الكلام فيها، ويخصوها بالكلام حتىٰ يعرف المؤمن الحق ويعتقد الاعتقاد الصحيح فيها. فباب الشفاعة أي: بيان الشفاعة المثبتة والمنفية والحق والباطل فيها.

❁ وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

أي: أنذر يا محمد بالقرآن الذين يخافون أن يحشروا ويجمعوا إلىٰ ربهم وهم المسلمون لأن الكفار لم يسمعوا ولم يستجيبوا. والإنذار: الإعلام مع التخويف.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: هذه الشفاعة الباطلة فإن العباد ليس لهم ولي ولا شفيع بالكلية إلا من رضي الله قوله وعمله فقط، لأن الكفار يظنون أن لهم أولياء وشفعاء ينقذوهم من النار ولا يدخلون النار بسببهم حتىٰ عبدوهم من دون الله وقالوا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ وقالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فبين سبحانه أنه ليس للعباد ولي ولا شفيع دونه وأن شفاعة الكفار هذه باطلة وإن الشفاعة الحق هي التي يأذن الله فيها لأنبيائه وأوليائه وأهل طاعته في أهل التوحيد والإيمان لا في أهل الكفر والنفاق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: لأجل أن يتقوا الله ويستقيموا علىٰ دينه إذا عرفوا أنه لا شفاعة ولا ولاية من دونه فيوحدونه ويحذرون من غضبه.

❁ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

أي: قل للناس: إن الشفاعة لله وحده، وقبل هذه الآية أنكر علىٰ من ادعىٰ الشفعاء من دون الله من المشركين الذي يدعون الشفاعة لأصنامهم وأحجارهم وغيرها من المعبودات فنفىٰ الله ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

✿ وقولـــه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقـــرة: ٢٥٥]، وقولـــه: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] الآيتين.

فالشفاعة له وحده سبحانه وإنما يشفع الأنبياء والصالحون بإذنه وهو يعطيها مـن يـشاء فيجب أن تطلب منه ويقول: اللهم شفع فيَّ نبيك وشفع فيَّ عبادك الصالحين... ولا مـانع أن تطلب الشفاعة من الحي في حياته كأن يقول: يا رسول الله اشـفع لي أن يرزقنـي الله أو تقـول للرجل الصالح اشفع لي أن يغفر الله لي وادع الله أن يهديني. أمـا الأصـنام والأمـوات والغائـب كالملائكة فلا يطلب منهم ذلك لأنه لا يشعر ولا يدري عنك ولا يطلع على الغيب كما يعتقده الجهال والكفار.

✿ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقـــرة: ٢٥٥]، ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [الـــنجم: ٢٦]، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٢٢].

فبين سبحانه أنه لا يشفع عنـده أحـد إلا بإذنـه وأنهـم لا يـشفعون إلا لمـن ارتـضى وأن الملائكة لا تملك إذنًا في الشفاعة بل يملكها الله وحده، فإذا كان هذا حـال الملائكـة والأنبيـاء والرسل لا يشفعون إلا بعد الإذن والرضا عن المشفوع فغـيرهم مـن الـصالحين والأطفـال والأفراد من باب أولى.

ثم إن المتعلقين بهؤلاء الذين يدعونهم من دون الله يتعلقون بهم لأربعة أشـياء بينهـا الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾.. [سبأ: ٢٢-٢٣] والأربعة هي:

١- **الملك**: فيظنون أنهم يملكون شيئًا، والله هو المالك وحده.

٢- **الشركة**: فيظنون أنهم شركاء لله.

❁ **قال أبو العباس**: نفىٰ الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع**»(١).

❁ **وقال له أبو هريرة**: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»(٢)، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

٣- **المظاهرة**: أي: المساعدة والمعاونة مع الله تعالىٰ، وهو باطل.

٤ - **الشفاعة**: فيظنون أن آلهتهم تشفع لهم.

فبين أنه لا شفاعة إلا بإذنه ولا شفاعة مستقلة كشفاعة الدنيا، ففي الدنيا قد يشفع له من أجل خوفه منه أو من أجل حاجته إليه والله ﷻ منزه عن ذلك.

❁ **قال أبو العباس وهو شيخ الإسلام**: نفىٰ الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون.

قوله: فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، فمنهم من يظن أن أصنامهم ومن يدعونهم يشفعون لهم شفاعة ملزمة، وأنهم لا يحتاجون إلىٰ إذن وأنهم تقبل شفاعتهم فيهم وأنهم يدخلون الجنة بسببها ولا يدخلون النار ولكن هذا في حق من يؤمن بالآخرة. أما من لم يؤمن بالآخرة منهم فهم يعبدونهم ليشفعوا لهم في أمور الدنيا ومصالحها من حصول الرزق وما أشبهه فمقاصدهم بالشفاعة مقاصد عاجلة. وأكثر العرب لا يؤمن بالآخرة.

❁ **قال أبو هريرة**: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله، فقال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**».

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل علىٰ أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهىٰ كلامه.

فأسعد الناس بشفاعته هم الموحدون وفي الحديث: «**إن لكل نبي دعوة.... وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**» فبين أنها لا تنفع أمته إلا من وحد الله، وأما من مات علىٰ غير الإسلام فلا شفاعة لهم وحقيقته: أنه سبحانه هو الذي يتفضل علىٰ أهل الإخلاص فيغفر لهم.

قوله: المقام المحمود: هو ثابت للنبي ﷺ وهو الذي يحمده عليه الأولون والآخرون قال تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] فهي الشفاعة العظمىٰ علىٰ الصحيح.

وقيل: أن المقام المحمود هو أن الله يجلسه معه علىٰ العرش يوم القيامة لكن في صحته - الحديث - نظر والمشهور الأول.

والشفاعة تفضل علىٰ المشفوع لأنها تفضل من الله بنفع هذا المشفوع فيه حتىٰ دخل الجنة.

فهذه هي حقيقة الشفاعة.

وهذا رد علىٰ أهل القبور بل هم محرومون من الشفاعة لاتباعهم بما يحرمهم من الشفاعة.

١٨- باب قول الله تعالى

❁ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] الآية

❁ **وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال:** لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**»، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦][(١)].

هذا الباب ذكره المؤلف ليبين أن الرسل وأفضلهم محمد ﷺ لا يملكون شيئًا من أمر الله إلا ما أعطاهم الله، وأنهم لا يستطيعون هداية البشر إلا من هداه الله فهم مربوبون مقهورون ليس لهم من التصرف إلا ما جعل الله لهم. لذلك لا يصلح أن يعبدوا من دون الله، فهم كسائر البشر لكن الله فضلهم بالرسالة والنبوة فلهم مزيد شرف ولكن هذا لا يجعلهم شركاء لله في تصريف الكون أو علم الغيب وهداية من شاءوا. فإذا كان الرسول لم يستطع هداية عمه أبي طالب وأبي لهب فهذا يدل على أن الهداية بيد الله ويجب طلبها منه سبحانه.

فهذا باب بيان أن الهداية التي مضمونها قبول الحق والرضى به لا يملكها أحد غير الله.

❁ أما الهداية التي بمعنى الدلالة والإرشاد والبيان فهي بيد الرسل وأتباعهم من العلماء والدعاة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢] أي: ترشد وتدل وتدعوا إلى صراط مستقيم ولكن لا يستطيعوا أن يؤثروا في القلوب حتى تقبل الحق بل هي لله.

❁ **وفي الصحيح عن ابن المسيب قال:** لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ.

----

(١) رواه البخاري (٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٣)، ومسلم (٢٤).

....

لما حضرت: أي: علامات قرب الأجل. المسيب: بالكسر وبالفتح وهو أشهر عند المحدثين.

جاءه رسول الله: ليدعوه دعوة خاصة عند قرب الأجل وقد دعاه قبل ذلك كثيرًا. ولكنه لم يستجب مع أنه يعلم أنه حق ولكنه لا يريد أن يجلب المسبة لقومه علىٰ زعمه ولذا قال في شعره:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة وحذار مسبة ... لوجدتني منشرحًا بذاك بيِّنًا

«**كلمة أحاج لك بها عند الله**»: أي: أشهد لك بها وأحرص بها علىٰ نجاتك.

أترغب عن ملة عبد المطلب: من عبادة الأوثان والأصنام.

فكأن آخر ما قال: هو علىٰ ملة عبد المطلب. لأنه قد سبقت له الشقاوة ولم يرد الله به الهداية لحكمة بالغة فهو مات علىٰ دين قومه؛ وهو الحق وجاءت به الأحاديث الصحيحة أنه رآه – أي: النبي عليه الصلاة والسلام – في غمرات من النار فشفع فيه حتىٰ صار في ضحضاح من النار يغلي منها دماغه[1]. أما من قال أنه أسلم فلا أصل له. ففيه أن النبي لا يستطيع هداية أحد من الخلق.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] فيه تسلية للنبي وتسلية لمن أسلم بعض قومه ولم يسلم بعضهم.



---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

﴿ ١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ﴾

❁ **وقول الله عز وجل:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

❁ **وفي الصحيح عن ابن عباس** رضي الله عنهما **في قول الله تعالىٰ:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت.

بين المؤلف سبب كفرهم وأغلبه هو الغلو في الصالحين، وهناك أسباب أخرىٰ كالحسد والبغي والغالب أنهم أحبوا الأنبياء والصالحين حتىٰ غلوا فيهم وكفروا.

❁ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

هذا للنصارىٰ وكذلك لليهود لكن النصارىٰ أكثر غلوًّا.

والمقصود من الباب التحذير من الغلو في حب الصالحين والأنبياء وحبهم دين حيث قال: ﴿فِي دِينِكُمۡ﴾والحب والبغض في الله من الدين كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[1] لكن هذا الحب لا يكون بالغلو بل باتباعهم وعدم عصيانهم وطاعتهم لا بعبادتهم من دون الله عز وجل، وهكذا العلماء والصالحون يكون حبهم بالترضي عنهم والسير علىٰ منهجهم فيجب أن تكون محبة شرعية.

❁ **وفي الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالىٰ:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ...﴾ [نوح: ٢٣].

وهذا في قوم نوح وقد وسوس لهم الشيطان أن يصوروها لتكون ذكرىٰ لهم علىٰ العبادة فلما هلك أولئك أتىٰ الشيطان من بعدهم وقال: إن آباءكم كانوا يعبدونها ويستغيثون بها. فعبدوها.

فهذا سبب الغلو، أضل الناس وأهلكهم في الدنيا والآخرة.

قوله: نسي العلم أي: ذهب وهي رواية، وفي روية نسخ. فذهب العلم وجاء من لا يعلم فوقع في الشرك، ففيه أهمية العلم ومحاربته للجهل فإذا ذهب وقع الناس في الباطل والجهل. ففيه فضيلة العلم الشرعي.

---

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

۞ **وقال ابن القيم**: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم ثـم صـوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

۞ **وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنـما أنـا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[١] أخرجاه.

۞ وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[٢].

۞ **قال ابن القيم**:........

ويحتمل كلامه إن الذين صوروها هم الذين عبدوها لما طال الأمر وتغيرت الأحـوال، ويحتمل أنهم بعد موتهم جاءت ذريتهم فعبدوها.

فالبدع شرها عظيم علىٰ من فعلها وعلىٰ من جاء بعده.

۞ **وعن عمر مرفوعًا: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم إنما أنا عبد...»** يحذر النبي ﷺ من الإطراء وهو مجاوزة الحد في المدح. والوصف بما لا ينبغي ولا يجـوز ولا يحـق لـه كـأن يقال: يعلم الغيب أو يتصرف في الكون.. بل يمدح بما ينبغي وبالحق كـأن يقـال: خـير الرسـل وخير الخلق وخاتم النبيين مبلغ الرسالة.... ومن الغلو ما قاله البوصيري في شعره: أنـه يمـدح بكل شيء لكن لا يقال ابن الله فقط، وهذا جهل وضلال، فلا يمدح بما يخص الله وحده لا هـو عليه الصلاة والسلام ولا أحد من الخلق. وعندما ضاع عقد عائشة وجـدوه تحـت الجمـل ولم يعلمه الرسول ﷺ ولا أحد من أصحابه فلا يعلم الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

۞ **وقال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»**.

قالها النبي ﷺ في حجة الوداع حين أمر ابن عباس بأن يأخذ سـبع حـصيات والحـديث رواه أحمد وبعض أهل السنن بإسناد جيد فهو حديث صحيح.

والغلو: الزيادة. يقال: غلىٰ القدر. وهي الزيادة في الدين بما لم يأذن بـه الله بـل الواجـب الوقوف علىٰ النص بدون زيادة ولا نقصان فإذا زادوا وقعوا في الشرك أو البدع.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١٨٥١)، وابن حبان (٣٨٧١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٥٥).

۞ ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا[١].

۞ ولمسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «هلك المتنطعون».

والمتنطع: هو الغالي المتشدد المتكلف الذي يزيد في الأمور ولا يكتفي بالحد المحدود. وأصله في الكلام بأقصىٰ حلقه والتكلف في الكلام وهكذا كل غال في أي شيء يقال له متنطع فيجب الاقتصاد في الكلام وفي كل شيء وليس لأحد أن يزيد في الدين أو ينقص لا ملك ولا رئيس ولا عالم ولا غيره.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢٠- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

❁ في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»**[1].

هذا باب عظيم كالذي قبله، أي: باب ما جاء من الأدلة في التغليط فإن كانت الأدلة جاءت بإنكار عبادة الله عند قبور الصالحين فكيف إذا عبده واتخذه إلهًا من دون الله؟! فالتغليظ يكون أشد لأن الأول وسيلة والثاني شرك أكبر.

❁ وفي الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور لرسول الله ﷺ فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح...»**.

رأت كنيسة: لما هاجروا إلىٰ الحبشة رأوا كنيسة معظمة ولها شأن يقال لها مارية فيها صور وتحسينات.

«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح»: هذا بيان حال النصارىٰ وغلوهم في أمواتهم.

«صوروا فيه الصور»: أي: صور الرجل الصالح أو له ولأتباعه كما جرىٰ لقوم نوح.

«أولئك شرار الخلق»: أي: الذين فعلوا هذا الفعل لأنهم فعلوا أسباب الشرك والغالب أنهم يفعلون ذلك لأنهم يعتقدون الشرك. فتعظيمهم القبور والبناية عليها لتعبد ويستغاث بها فصاروا بهذا شرار الخلق.

فمن فعل هذا الفعل فقد تشبه بالنصارىٰ وعمل عملهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، والمقصود من الكلام التحذير من فعلهم. وقد وقع في الأمة ذلك، وأعظم من فعله هم الرافضة الذين غلوا في آل البيت وهم أول من بنىٰ علىٰ القبور وبنوا عليها المساجد وعبدوها من دون الله ثم قلدهم أناس من أهل السنة من كثير من بلاد المسلمين وقد وقع اتباعها للكفار حذو القذة بالقذة.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) عن عائشة رضي الله عنها.

❁ فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

❁ ولهما عنها قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال - وهو كذلك -: **«لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه(١).

❁ **ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال:** سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **«إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**(٢).

❁ **قوله: فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين:** فعظموا القبور، وصوروا الصور وكذا من شابههم من هذه الأمة شابهوا النصارىٰ وشابهوا قوم نوح.

❁ ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه..

طفق: جعل. **خميصة:** كساء.

وهذا من سكرات الموت لسيد الخلق ليرفع به الدرجات وليكون أسوة لأمته.

«لعن الله اليهود والنصارىٰ»: قالها في مثل هذه الحالة العصبية ليحذر أمته من فعل ذلك.

ولولا ذلك لأبرز قبره: أي: في البقيع مع أصحابه.

غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا: لئلا يأتي أناس بعد الصحابة ويبنون عليها مسجدًا، أما الصحابة فلا يفعلونه. وهذا الآن يقع من بعض الجهلة الذين يزورون المسجد يدعون النبي ﷺ لكن من وراء الجدار وهو شرك أكبر.

وهذا يدل علىٰ غيرة الصحابة وحرصهم علىٰ الأمة فلذلك نقلوا هذه الأحاديث للأمة.

❁ **ولمسلم عن جندب مرفوعًا: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا».**

الخلة: أعلىٰ من المحبة وفيه فضل الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الصحابة بالإجماع.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١) عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

(٢) رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

فقد نهىٰ عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنىٰ قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[1].

۞ ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**»[2] ورواه أبو حاتم في صحيحه.

«**ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**»: فلم يتخذه لئلا تزاحم محبته محبة الله عزوجل.

«**كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**»: وفي مسلم «**أنبيائهم وصالحيهم مساجد**» وسقطت اللفظة لأنه نقلها من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وقد سقطت من هناك.

ومنع من هذا بثلاث طرق:

١ - ذم ما فعلوه.

٢ - قوله: «لا تتخذوا».

٣ - قوله: «فإني أنهاكم عن ذلك».

وهذا مبالغة منه في النهي عن ذلك. لأنه وسيلة إلىٰ الشرك كما حصل الآن.

خشي أن يتخذ مسجدًا: لأن الصلاة عند القبور اتخاذ لها مساجد فكل موضع يصلىٰ فيه فهو مسجد كما في الحديث «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» فإذا صلىٰ عند القبر فقد اتخذ مسجدًا وإن لم يبن فكيف إذا بني وهذا من وسائل الشرك.

۞ وقد ورد عن ابن مسعود مرفوعًا «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**».

لأن الساعة لا تقوم إلا علىٰ شرار الخلق أما المؤمنون فتقبض أرواحهم قبل ذلك بالريح الطيبة.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) رواه أحمد (٣٨٤٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٤٧)، والطبراني في الكبير (١٠٤١٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الثمر المستطاب (١/ ٣٦٣).

....

«**والذين يتخذون القبور مساجد**»: أيضًا من شرار الناس لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك والبدع والباطل لأن الناس إذا رأوا هذا قالوا ما دام أنه قد بني علىٰ هذا القبر فهـذا القبر يدعىٰ به ويستغاث به.

لا يضر قرب المسجد من المقبرة، وإن فصل بينهم بطريق فهو أولىٰ.

⁂

٢١ - باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

۞ روىٰ مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا علىٰ قبره

وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وهذا صحيح كما سبق فالغلو يجعل المغلو فيه معبودًا من دون الله ولهذا لما غلىٰ أناس في بعض الصالحين جعلوها تعبد من دون الله كقبر الصالحين من الحسن والحسين وفاطمة وغير ذلك. وهكذا هذه الأمة غلوا في الرسول فعبدوه واستغاثوا به ودعوه من دون الله. وفي سابق الزمان لما غلىٰ قوم نوح في الصالحين أدىٰ إلىٰ عبادتهم، وتقدم ذلك.

۞ روىٰ مالك في «الموطأ» أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

روي مرسلًا عن عطاء بن يسار وزيد بن أسلم وروي متصلًا عن أبي سعيد الخدري عن النبي...

«اشتد غضب الله...»: لأنهم جعلوها أوثانًا تعبد من دون الله حيث بنوا عليها المساجد فعظموها فطافوا بها واستغاثوا بها ونذروا لها. فاللات لما غلىٰ فيه أهل الطائف صار معبودًا من دون الله فهذه سنة الأولين والآخرين.

فالبناء علىٰ القبور وتعظيمها يصيرها أوثانًا تعبد وإن لم يعبدوها الآن فالوسائل تجر إلىٰ الغايات.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٤١٤) رواية يحيىٰ الليثي، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٨٧)، وابن أبي شيبة (٧٥٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٦٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٨٠٢)، وصححه العلامة الألباني ﷾ في مشكاة المصابيح (٧٥٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج[1]. رواه أهل السنن.

حديث ابن عباس: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها السرج والمساجد.

فيه حرمة زيارة القبور على النساء على الصحيح للأدلة وكما في حديث حسان بن ثابت وأبي هريرة بمعناه، فزيارة القبور مختصة بالرجال.

المسألة الثانية:

اتخاذ المساجد على القبور لما سبق من التشبه بأهل الكتاب، ولأنه وسيلة إلى الشرك.

مسألة:

لا يجوز زيارة النساء حتى إلى قبر النبي ﷺ على الصحيح لأن الحديث عام.

ورد لفظ: «**زوارات**» لكن ورد أيضًا: «**زائرات**».

الحلف بالقرآن جائز لأنه كلام الله.

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وأحمد (٢٠٣٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٢٢٥).

٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

بين المؤلف بهذه الترجمة ما جاء به النبي ﷺ وحمايته التوحيد من الأقوال والأفعال الشركية.

وجناب الشيء: الجزء منه. وحمىٰ التوحيد: زائد علىٰ الجانب فالثانية أبلغ من الأولىٰ لأن الأولىٰ في الجانب، والثانية في الحمىٰ. وهنا ذكر الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك، وفي باب حماية التوحيد وسد طرق الشرك - وسيأتي ذكره - فيه الحماية القولية، أي: حمىٰ التوحيد بالتحذير من الشرك وما يوصل إليه من أقوال وأفعال.

❁ **قوله:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

هذا وصف له والخطاب لقريش وللأمة كلها ولهم خاصة لأنهم يعرفونه ويعرفون نسبه وأنه منهم وفي قراءة شاذة (مِنْ أَنفَسِكُم) من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي: شاق عليه الشيء الذي يضركم ويتعبكم لرحمته بكم وحبه لكم، وحريص علىٰ هدايتكم وتحذيركم من النار بأعماله وأقواله، وهو رؤوف بالمؤمنين عطوف عليهم ولكنه شديد علىٰ أعداء الله لكفرهم وضلالهم فهذه أوصافه فإن كانت هذه حاله فالواجب اتباعه ومحبته، ولكن حصل العكس فعادوه حتىٰ أرادوا قتله.

ثم من كانت هذه صفاته فإنه لا يترك أمته بدون نصح، لذلك أمر بالتوحيد وحث الناس علىٰ الاستقامة وحذر من الشرك وأسبابه بأقواله الكثيرة كحديث: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ...**» «**إياكم والغلو...**» «**هلك المتنطعون**»[1].

---

(١) تقدم قريبًا.

❁ **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[١] رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

❁ **وعن علي بن الحسين:** أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»[٢] رواه في المختارة.

❁ **عن أبي هريرة قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا..**».

«**عيدًا**»: بتكرار المجيء إليه والدعاء عنده أو الصلاة عنده أو الاستغاثة به ونحو ذلك، والعيد: هو ما يتكرر ويعود كل مرة. ولا يدخل في هذا زيارته عليه الصلاة والسلام بدون شد الرحل وبدون غلو فيها وعبادة عندها.

«**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»: أي: مثل القبور لا يصلىٰ فيها ولا يقرأ عندها بل صلوا فيها واقرءوا وفي الحديث «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**»[٣] فدل علىٰ أن القبور لا يصلىٰ فيها ولا يقرأ عندها. والذي يصلىٰ في البيوت: النوافل.

«**صلوا عليَّ**»: حث علىٰ الصلاة عليه ﷺ.

❁ وعن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها..

علي بن الحسين: هو زين العابدين.

فيصلىٰ علىٰ النبي ﷺ في كل مكان، في البيت والسوق والطريق ولا يخصوا السلام والصلاة عليه عند القبر. ولهذا أنكر علي بن الحسين علىٰ الرجل وبين له أن هذا ليس بمشروع وأنك تسلم عليه وتمضي لا تجلس عند القبر تدعو.

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠)، والطبراني في الأوسط (٨٠٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٦٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٢٦).

(٢) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٤٦٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤٧)، وقواه العلامة الألباني رحمه الله في تحذير الساجد (١/ ٨٥) برقم (٩).

(٣) رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

....

هذه سنة جاءت عن أهل البيت وكلهم بينوا أن اتخاذ القبر عيدًا وسيلة إلىٰ الشرك إذا عكفوا عليه عنده وصلوا عنده ودعوا عنده جرهم هذا إلىٰ الشرك والغلو، فحسم النبي المادة. ومن اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها وتجصيصها وفرشها يؤدي إلىٰ اعتقاد العامة أنها معظمة وأنها تنفع وكل هذا قد وقع مع أن النبي ﷺ قد حمىٰ جناب التوحيد وحذر من الشرك.



٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

❁ **وقوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

أي: باب ما جاء من أحاديث وآيات تدل علىٰ ذلك وأنها غير معصومة من الوقوع في الشرك وكما دخل الناس في دين الله أفواجًا صاروا يخرجون منه، وقد وقع في عهد الصديق من الردة ما وقع.

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

أخبر الله أن أناسًا من أهل الكتاب يؤمنون بالجبت: وهو السحر، والطاغوت والشيطان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١].

وهذه قالة اليهود ككعب بن الأشرف وحيي بن أخطب قالوا: إن قريشًا أهدىٰ من محمد وأصحابه وهم يعلمون أنه علىٰ الحق، فقالوا عنادًا وحسدًا وبغضًا وخلافًا لما معهم. فهم أوتوا نصيبًا – أي: حظًا – من الكتاب ولكن لم يعملوا به بل خالفوه وآمنوا بالجبت والطاغوت وقالوا: هؤلاء أهدىٰ سبيلًا. فإن كان هذا قد وقع من اليهود فسيقع من هذه الأمة لحديث: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» فدل علىٰ أن هذا سيكون في أمة محمد ﷺ من يكفر ويقول إن الكفرة أهدىٰ من أتباع النبي ﷺ وهو وقع قديمًا ويقع الآن ممن يفضلون اليهود والنصارىٰ علىٰ هذه الأمة.

❁ **قال تعالىٰ:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

فإذا كان من قبلنا عبد الطاغوت: وهو الشيطان، وكل ما يعبد من دون الله فهكذا يوجد في هذه الأمة من يعبد الطاغوت والأوثان لحديث «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**».

❁ وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١].

❁ **عن أبي سعيد** ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القـذّة بالقذّة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قـال: «**فمن**»؟ أخرجاه(١).

❁ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ [الكهف: ٢١].

فإذا كان في الأمم الماضية من اتخذوا المساجد علىٰ القبور وعظموها فكذلك في هذه الأمة، وقد وقع هذا في آخر القرن الأول من الرافضة الذين بنوا المساجد وعظموا القبور ثـم تبعهم من يدعي الإسلام كما هو حال المسلمين كما في الحديث الآتي:

❁ **عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة».**

والقذة: هي ريشة السهم وتكون متساوية حتىٰ يستعين بها الرامي علىٰ إصابة الهدف فكما أن هذه تشبه هذه فكذلك من وقع من كفار هذه الأمة أشبه بمن قبلهم في الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام. وكما أنه وقع في الأولين من سب أتباع الأنبياء فكذلك وقع في هذه الأمـة من الرافضة والخوارج الذين سبوا الصحابة وهكذا كل معصية وكفر وقع في السابقين سيقع في هذه الأمة، ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»(٢) ودوس: قبيلة في الجنوب في بلاد غامد وزهران فقد وقع في عهد قريب قبل هذه الدولة من عبد هذا الصنم وطاف حوله وسيقع مرة أخرىٰ. وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**»(٣) وقد وقع. وعن عائشة مرفوعًا: «**لا تذهب الليالي والأيام حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ**»(٤) وسيقع هذا كله.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وأحمد (٢٢٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٩)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٧٦١)، وصححه العلامة الألباني ﷺ في صحيح الجامع (١٧٧٣).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٧) بلفظ: «**لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ**»، وتقدم تخريجه.

❁ ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**»[1].

مسألة: حديث: «**يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب**»[2] هذا يحتج به الجهال ولكن هل يئس معصوم؟ فهو ليس معصوم قد يئس من الشيء ويحصل فلما ظهر الدين يئس، ولكن الشرك وقع كما هو مشاهد وقد يرجو الشيء ولا يحصل. وقيل: أنه يئس أن يعودوا كحالهم الأولىٰ تمامًا لأنه سيبقىٰ طائفة من الأمة علىٰ الحق. وقيل: أن المراد الصحابة لرواية «**المصلين**» وأل: للعهد، أي: المصلين الصحابة لأن الله وفقهم ورزقهم العلم. وكل الإجابات الثلاثة صحيحة.

❁ **ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوىٰ لي الأرض»**.

«**زوىٰ**»: أي: جمعها. «**فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوىٰ لي منها**»، وهذا معلم من معالم النبوة فقد وصل ملك هذه الأمة إلىٰ أقصىٰ المشرق إلىٰ الصين وإلىٰ أقصىٰ المغرب: المغرب وطنجة. وليس كذلك شمالًا وجنوبًا.

«**أني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**»: هي كنوز كسرىٰ وقيصر وكانا أعظم دولتين. دولة النصارىٰ والوثنيين، وهذا ما حصل لهذه الأمة. وقد أنفقت كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والصلام في عهد عمر وعثمان وهذا علم من أعلام النبوة.

«**وإني سألت ربي لأمتي... يستبيح بيضتهم**»: البيضة: المجتمع والحوزة والخلاصة.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٢)، بلفظ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**».

۞ ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: **«وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي،**

«**بسنة عامة**»: أي: هلاكًا عامًا كما جرى لقوم نوح وصالح وغيرهم لأن هذه الأمة آخر الأمم ولما جعل الله في نبيها من الخير والبركة وستبقى هذه الأمة إلى قيام الساعة.

«**وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم**»: فاستجاب له لكن قال الله: «**حتى يهلك بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**» أي: إذا تسلطوا فيما بينهم وتقاتلوا سلط عليهم أعدائهم وهذا ما حصل لما تفرقوا واختلفوا طمع فيهم أعداؤهم وأخذوا ما في أيديهم من أزمان طويلة.

«**قضيت قضاء لا يرد**»: أي: أن الله إذا أمر بشيء وقضاه وقدره لا يرده أحد، وقد سبق في علم الله أن هذه الأمة سيقع فيها الخلاف والنزاع وأن دعوته ﷺ لهم في أنهم لا يتقاتلون ولا يتنازعون فيما بينهم لم تستجب بل منع هذه الدعوة. ولهذا وقع النزاع في العهد الأول وما بعده كما حصل من التتار وما حصل بعد ذلك من تسلط العدو عليهم بسبب عدم تمسكهم بالحق على الوجه الصحيح، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وبه يعلم أن الأمة لو اجتمعت على الحق واستقامت وتعاونت فإنها تغلب عدوها ويجمع الله لها الخير ومتى تفرقوا وتنازعوا طمع فيهم الأعداء وسهل عليهم أخذها والنيل منها.

۞ **وما رواه البرقاني وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».**

البرقاني: بتثليث الباء وقال بعضهم وبدون ضم.

وهذا يفيد خطورة الأئمة المضلين وهم ولاة السوء فإنهم يتبعون ويتأثر بهم ويستعان بهم على الباطل فلذلك خاف على أمته منهم. وهذا يشمل الأمراء والقضاة الضالين.

«**وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**»: وهذا قد وقع، وهذا من علامات النبوة فإن باب الفتنة فتح بقتل عمر ثم ازداد بقتل عثمان وزاد الشر.

«**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**»: يدل على أن الشرك سيقع في هذه الأمة وقد حصل، وهذه هي الوثنية حصلت في الجزيرة وغيرها.

وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله تبارك وتعالىٰ»[١].

«**سيكون في أمتي كذابون ثلاثون....**»: وهو من علامات النبوة وقد وقع كما تنبأ مسيلمة فقتله الصحابة، والأسود العنسي وقد قتل في حياة النبي ﷺ، وسجاح التميمية وتابت وطليخة الأسدي وقد تاب، وغيرهم وآخرهم الدجال الذي يدعي النبوة ثم يدعي أنه رب العالمين قاتله الله. وهؤلاء المدعون هم الذين يكون لهم شوكة وصولة وشبهة وإلا فالمدعون كثير، بعضهم يقولها بجنون وهذيان وغيره.

«**ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق**»: هذا من علامات النبوة أيضًا ومن البشرىٰ وهذه الطائفة لا تزال إلىٰ الآن.

«**حتىٰ يأتي أمر الله**»: وهي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين فتقوم الساعة علىٰ شرار الناس.

وقد جاء في روايات: أنها تكون بالشام، لكن إن صح هذا فالمراد أحيانًا وليس دائمًا ولكن غالبها روايات ضعيفة وليس لها مكان معين قد تجتمع وقد تفترق وليس في حديث صحيح ما يدل علىٰ أنها تكون في مكان معين.



---

(١) رواه أحمد (٢٢٤٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٧٣).

٢٤- باب ما جاء في السحر

❁ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[(١)].

السحر: بكسر السين هو ما يتعاطاه السحرة من عقد وأدوية ونفث في العقد وغيرها وأشياء يتلقونها من الجن والشياطين. والسحر: هو ما يسحر الناس، وسمي سحرًا لأنهم يتعاطونها بطرق خفية.

وهو منكر وشرك لأنه لا يتوصل له إلا بالشياطين والتقرب إليهم وعبادتهم من دون الله كما في الآية ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فدل علىٰ أن تعلمه يوجب الكفر ثم قال تعالىٰ:

❁ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

اشتراه: أي: اعتاضه وفعله، فما له عند الله من حظ ولا نصيب. وهذا يدل علىٰ تحريمه وإنكاره ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾ [البقرة: ١٠٣] فدل علىٰ أنها ضد الإيمان والتقوىٰ ولهذا قال أهل العلم: إن السحر من الكفر والضلال لأنه لا يتوصل إليه إلا بعبادة الجن والشياطين. وقيل: يستفصل فما كان مما يتعلق بعبادة الجن والشياطين فهذا من الكفر بالله وشرك أكبر، وما كان من أدوية ليس فيها تعلق بالشياطين وعبادة لهم فهو من المحرمات والكبائر والمنكرات التي فيها ظلم العباد والتعدي عليهم لأنهم يفسدون بها العقول ويغيرونها به.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

---

(١) رواه البخاري معلقًا في كتاب التفسير باب تفسير سورة النساء، وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٥٢): قوله الجبت السحر، والطاغوت الشيطان وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن رستة في كتاب الإيمان كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي. ورواه سعيد بن منصور في سننه (٢٥٣٤)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٢٢٦).

۞ **وقال جابر**: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد[١].

۞ **وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»** قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**[٢].

هذه نزلت في اليهود. أخبر الله أنهم يؤمنون بالجبت، وهو: السحر، والطاغوت، وهو: الشيطان. وقال أهل اللغة: الجبت هو الشيء الذي لا خير فيه كالسحر والصنم وغيره، والطاغوت من الطغيان وهو تجاوز الحد ويطلق علىٰ الشياطين من الجن والإنس طواغيت أي: تجاوزوا الحد بكفرهم وضلالهم.

۞ **قال جابر**: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشياطين في كل حي واحد أي: أن الكهان من الطواغيت، قال ابن القيم: الطاغوت: ما تجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع. متبوع في الباطل ومطاع في غير الشرع ورؤوسهم خمسة: إبليس، ومن دعا إلىٰ عبادة نفسه كفرعون، ومن عبد وهو راض، ومن ادعىٰ علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله متعمدًا. والسحرة والكهان طواغيت لأنهم خرجوا عن الطريق وآذوا الناس بما يتعاطونه.

۞ **وعن أبي هريرة قال**: قال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات....»**.

سميت موبقات لأنها مهلكات وأعظمها الشرك به ثم السحر لأن الغالب أنه منه لأنه عبادة للجن واستعانة بهم وتقرب إليهم، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف يوم اجتماع الصفين للقتال فيخذل قومه ويتولىٰ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات: قذفهن بالفاحشة.

«غافلات»: لأنهن في الغالب لا يشعرن بمن رماهن، ويدخل فيه قذف المحصنين من الرجال وأنه من الكبائر ويستحق القاذف إقامة حد القذف ولكنه في النساء أغلب فمن قذفهن حُدَّ.

---

(١) رواه البخاري معلقًا، في كتاب التفسير باب تفسير سورة النساء.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٧، ٦٨٥٧)، ومسلم (٨٩).

❁ **وعن جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربه بالسيف»**[١] رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

❁ **وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال:** كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر[٢].

مسألة: لا يجوز الذهاب للسحرة للعلاج وهو الصحيح عند أهل العلم، ولو كان من باب التداوي، ولو لم يكن يرضىٰ بذلك لأن الذهاب إليهم دعوة لهم إلىٰ الشرك وأن يفعلوا ما حرم الله، بل يتعاطىٰ الأدوية الشرعية.

❁ **وعن جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربه بالسيف»** رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف. والصواب ما قاله الترمذي من أنه موقوف.

وقال هذا حينما كان ساحر في مجلس الوليد بن يزيد الفاسق وكان هذا الساحر يقطع رأسه ويعيده بزعمه فأتاه الوليد من حيث لا يشعر وضربه بالسيف وقال: إن كان صادقًا فليعد رأسه، فقال جندب ذلك فهو من كلامه، وقد استنبطه من الأدلة الشرعية.

ومراده: أن الساحر يقتل ولا يستتاب لأن توبته لا تمنع ضربه فربما يكذب ويظهر التوبة ويبقىٰ ضرره علىٰ الناس فمتىٰ ثبت سحره وجب قتله لئلا يضر الناس.

❁ **وفي صحيح البخاري عن بجالة قال:** كتب عمر إلىٰ أمراء الأجناد في الشام: أن يقتلوا كل ساحر وساحرة.

لما سبق من ضررهم الذي لا يُزال إلا بقتلهم ولربما يظهرون التوبة وهو كاذب كالمنافقين، والساحر يقتل كفرًا ولا يستتاب علىٰ الصحيح.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (١٤٦٠)، والحاكم في المستدرك (٨٠٧٣)، والدارقطني في سننه (٣/ ١١٤) برقم (١١٢)، والطبراني في الكبير (١٦٦٥)، وضعفه العلامة الألباني ؒ في ضعيف الترمذي (٢٤٤)، والسلسلة الضعيفة (١٤٤٦)، وضعيف الجامع (٢٦٩٩).

(٢) لم أقف عليه عند البخاري بهذا اللفظ والذي عند البخاري برقم (٣١٥٧)، عن بجالة أنه قال: كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عمِّ الأحنف فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس. قال ابن حجر في الفتح مُعَلقًا: زاد مُسَدَّد وأبو يعلىٰ في روايتها: اقتلوا كل ساحر قال: فقتلنا في يوم ثلاث سواحر.

❁ **وصح عن حفصة** ﵂: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت[1]، وكذلك صح عن جندب[2].

❁ قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

❁ وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت، لأنها علمت أنها تتعاطىٰ السحر فقتلتها.

❁ **قال أحمد**: صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ. أي: صح قتل الساحر. والثلاثة هم جندب وعمر وحفصة. وهذا هو الصواب.

فائدة: قال بعض أهل العلم ومنهم الشافعي: إن كان سحر الساحر بأشياء معروفة تؤذي ولا تغير العقول، بل تؤذي وتمرض ولا يكون فيه ادعاء لعلم الغيب ولم يكن ممن يستخدم الشياطين ويستعين بهم، ولم يكن يتعاطىٰ ما حرمه الله من الشرك وغيره فهذا لا يقتل لأن هذا ليس من السحر بل هو من الأذىٰ والظلم فيضرب ويؤدب. لأن المراد من قتل السحرة عند الصحابة هم الذين يستخدمون الجن ويعبدونهم ويدعون الغيب وهذا هو الغالب في السحرة فهذا يقتل وهو الصواب.

فائدة:

ثبت أن النبي ﷺ قد سحر لكنه لم يؤثر عليه شيئًا في أمور الرسالة وإنما كان فيما يتعلق بينه وبين أهله كما هو في الصحيحين[3].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١٥٦٢)، والطبراني في الكبير (٣٠٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٧٤٧)، والهيثمي في المجمع (١٠٦٨٩)، وقال: رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الدارقطني (٣/ ١٤) برقم (١١٣)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٦٢٧٨).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٣) ومواضع، ومسلم (٢١٨٩).

٢٥- باب بيان شيء من أنواع السحر

❁ **قال أحمد**: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان[(١)]. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

أراد المؤلف أن يبين شيئًا مما يسمىٰ سحرًا لينتبه المؤمن ويجتنبها ويبتعد عنها وقد تسمىٰ سحرًا من جهة أنها تضر وتؤذي وإن لم تكن سحرًا من جهة المعنىٰ والحقيقة الذي هو استخدم الشياطين وعبادتهم فهذا سحر محض أما الثانية فهو يعمل عمل السحر ويؤذي وإن لم يكن سحرًا في الحقيقة.

❁ **قال أحمد**: حدثنا محمد بن جعفر... أنه سمع الرسول ﷺ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». الجبت: السحر كما قال عمر رضي الله عنه[(٢)].

والمعنىٰ: أن هذه يطلق عليها أنها من السحر من جهة ما فيها من الشر والفساد ومن جهة ما قد يدعيه أصحابها من علم الغيب.

والعيافة: زجر الطير كما قال عوف فيزجرون الطير ويزعمون أنها تدلهم علىٰ شيء فيتشاءمون بها تارة ويتيمنون بها تارة أخرىٰ وهذا من عمل الجاهلية. والطيور ليس عندها خير ولا شر ولكن هذا من جهلهم وضلالهم كما يتشاءمون بالغراب والبومة أو حيوان سيء الخلقة، ويتيمنون بالحيوان الحسن الخلقة ويقولون هذا مخرج طيب والعكس كذلك.

والطرق: الخط يخط في الأرض، ويقولون: هذا يدل علىٰ كذا وأنه يحصل كذا، وهذا قد يكون من العبث أحيانًا وقد يكون تخيلًا وهو في الحقيقة خدمة للشياطين وأخذ بأقوالهم وطاعتهم ودعوىٰ علم الغيب وكله كذب وهي لا تفيد شيئًا.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٧)، وأحمد (٢٠٦٢٣)، والطبراني في الكبير (٩٤١)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٦٢٩٢)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٨٣٣٦).

(٢) تقدم تخريجه.

❁ **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[1] رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

❁ **وللنسائي من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر**

والجبت: قال الحسن رنة الشيطان.

الطيرة: هي التشاؤم بالمرئي أو المسموع وهي محرمة ومن الشرك الأصغر وقد تكون أكبر إذا اعتقد بأن الطائر يتصرف في الكون أو يدبر شيئًا ولكن الغالب أنهم يتشاءمون بها فقط.

فكل هذا من عمل الجاهلية، ومن الجبت وهو السحر وقيل: الصنم أو الشيء الذي لا خير فيه، والمقصود الزجر عنها والنهي لأن فيها تشبه بالجاهلية والجاهليين.

قوله لأبي دواد والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه، أي: قوله: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». أما ما بعده فهو عند أحمد فقط.

❁ **حديث ابن عباس مرفوعًا:** «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

يدل علىٰ أن تعلم أمر النجوم في التأثير في الكون هو من أقوال المنجمين والمشعوزين وهو باطل ومنه التعلق بالنجوم في موت أحد وحياته أو زوال ملك فلان وغيره.

زاد ما زاد: أي: كلما زاد اقتباسه من النجوم زاد اقتباسه من السحر والشرك، والمراد: علم أن للنجوم تأثير فهذا هو المنكر وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية، أما الاستفادة من النجوم وسيرها في معرفة القبلة والحر والبرد فلا بأس به لأنه من علم التسيير لا من علم التأثير وهو من نعمة الله.

ومن التشاؤم بالزمان ألا يذبح ولا يشتري ولا يعقد عقدًا في صفر فهو عمل جاهلي.

❁ **وللنسائي من حديث أبي هريرة:** «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك**».

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد في مسنده (٢٨٤١)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٦٢٩٠)، كلهم بلفظ: «من اقتبس علمًا...»، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١٠١٩).

فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه»(١).

أراد المؤلف بيان ما تقدم من أنواع السحر وإن من هذه الأنواع العقد والنفث؛ فالسحرة يعقدون عقدًا ثم ينفثون فيها بأنفسهم الخبيثة وأرواحهم مع تعاونهم مع الشياطين وخدمتهم لهم وبهذا يقع بعض ما أرادوا بإذن الله تعالىٰ كما قال سبحانه ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: بإذنه الكوني، وقد ذكر الله السحر في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] وهم: السواحر.

والسحر قسمان:

١ - قسم يكون بالعقد والنفث والأدوية الضارة، وهذا موجود.

٢ - وقسم يكون بالتخييل والتلبيس والتزوير، كما قال تعالىٰ عن سحرة فرعون: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه: ٦٦] وقال ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦] فسماه عظيمًا لما فيه من التلبيس والتخييل علىٰ الناس.

«**ومن سحر فقد أشرك**»: من تعاطيه السحر لأنه يكون بعبادة الشياطين ودعائهم.. ولهذا قال الله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فدل علىٰ أن تعلمه يوجب الكفر.

وإسناد هذا الحديث فيه ضعف لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة. وقد ذكر جمع من العلماء أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة فيكون منقطعًا وهو من رواية عباد بن ميسرة وفيه ضعف لكن له شواهد من حيث المعنىٰ.

«**من تعلق بشيء وكل إليه**»: فمن تعلق بالله وكل إلىٰ الله، وكفاه الله ما أهمه.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ومن تعلق بالسحر والتمائم والشياطين وكله الله إليهم، ومن توكل علىٰ غير الله فقد خسر وهلك.

---

(١) رواه النسائي (٤٠٧٩)، والطبراني في الأوسط (١٤٦٩)، والمتقي الهندي في كنز العمال (١٧٦٥٠)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في غاية المرام (٢٨٨).

۞ **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس»**[١] رواه مسلم.

۞ ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من البيان لسحرًا**»[٢].

۞ **مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «ألا أنبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس»**.

العضه: بفتح العين وتسكين الضاد قال في القاموس: هي بمعنىٰ السحر والكذب والنميمة وذكره هنا لأن السحر يحصل به بهتان وكذب وتلبيس وغش علىٰ الناس وخيانة.

«النميمة والقالة بين الناس»: سميت عضه لأنها تضر الناس ويترتب عليها من الكذب والفرية وشحذ القلوب والإفساد بين الناس.

ولهذا قال يحيىٰ بن أبي كثير - كما روىٰ عنه ابن عبد البر -: قد يفسد النمام والكذاب في الساعة أكثر مما يفسده الساحر في السنة.

فشرهم كبير ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٣].

۞ **ولهما**: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من البيان لسحرًا**».

البيان: الفصاحة والبلاغة لأن صاحب البيان قد يسحر الناس بأسلوبه وفصاحته فربما لبس عليهم الأمر وربما خدعهم وخفيت عليهم الحقائق.

وأصل الحديث قال الجمهور: إن فيه مدح البيان إذا كان في الحق. وقيل: إنه يراد به الذم حكاه ابن عبد البر عن جماعة من العلماء. ولكن يقال: إن البيان إذا كان في الحق والدعوة إلىٰ الكتاب والسنة فهذا ممدوح. أما إذا أريد به الخداع واللبس فهذا ذم وعيب والحديث يحتمل الاثنين.

والكتاب والسنة قد جاءا بأوضح البيان وأفصحه في بيان الحق ودعوة الناس.

وخطب رجل عند عمر بن عبد العزيز فأحسن، فقال: هذا والله السحر الحلال.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٤٦) ومواضع، ومسلم (٨٦٩).

(٣) رواه ومسلم (١٠٥).

٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[2] رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا**

ونحوهم: من العرافين والرمالين والسحرة ومن يدعي علم الغيب.

والكاهن: هو الذي له راءي من الجن، أي: صاحب وحكمهم أنه يجب القضاء عليهم وتعزيرهم وتكذيبهم وعدم سؤالهم.

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرفًا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

بعض أزواجه: هي حفصة كما قاله المخرجون.

فصدقه: ليست هذه اللفظة في مسلم فلعل المؤلف وهم أو نقله من نسخة فيها هذه الكلمة في مجموعة التوحيد: فصدقه هي عند أحمد، فرواية مسلم تدل على أن السؤال المجرد لا يجوز لأن فيه رفعًا من شأنهم وسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم وتعظيمًا لقدرهم ولما يقومون به من الشعوذة فينبغي تركهم وتناسيهم، وعند مسلم عن معاوية بن الحكم قال: ليسوا بشيء، ولا يأتوهم. احتقارًا لهم وإعراضًا عنهم وإماتة لهم ولشأنهم.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**».

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه...**».

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠)، وليس فيه: «فصدقه». وفيه: «أربعين ليلة» بدلًا من: «أربعين يومًا».

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٤)، بلفظ: «فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ». وابن ماجه (٦٣٩)، والدارمي (١١٣٦)، وصححه العلامة الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٧).

فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»[(١)].

۞ ولأبي يعلىٰ بسند جيد عن ابن مسعود موقوفًا.

۞ **وعن عمران بن حصين ؓ مرفوعًا: «ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنـزل علىٰ محمد ﷺ»**[(٢)] رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتىٰ..**» إلىٰ آخره.

يدل علىٰ أن إتيانهم لا يجوز، وتصديقهم في ادعاء علم الغيب كفر، لأن علم الغيب إلىٰ الله وحده وهم ليسوا رسلًا، وكذلك الكاهن كافر إذا ادعىٰ علم الغيب ومن صدقه كفر لأنه لم يؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فيجب الحذر منهم.

۞ ولأبي يعلىٰ بسند جيد عن ابن مسعود موقوفًا مثله.

وهذا له حكم الرَّفع لأنه لا يقول من رأيه بل لا يكون إلا عن النبي ﷺ.

۞ **وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له...»**.

وهذا وعيد وترهيب لمن فعل هذه الأمور.

«**ليس منا**»: أي: ليس من المتبعين لسنة رسول الله ﷺ.

أما التكفير فيؤخذ من أدلة أخرىٰ فيها التفصيل وإن كان ظاهره التكفير.

فالتطير سواء لنفسه أو تطير له غيره برضاه أو تكهن بنفسه أو تكهن له غيره برضاه.. أما التكفير ففيه تفصيل كما تقدم. وتصديقهم كفر أكبر. ومن ادعىٰ علم الغيب يستتاب وإلا قتل وإذا لم يدعي علم الغيب فإنه يعزر حتىٰ لا يعود إليه.

---

(١) رواه أحمد (٩٥٣٢)، والحاكم في المستدرك (١٥)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٦٢٧٣)، وصححه العلامة الألباني ؒ في صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٢) روىٰ شطره الأول إلىٰ قوله: «**أو سحر له**». الطبراني في الكبير (٣٥٥)، ورواه بتمامه الهيثمي في المجمع (٨٤٨٠)، وزاد فيه: «**ومن عقد عقدة**». ثم قال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وقال العلامة الألباني ؒ في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١): صحيح لغيره.

❁ قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

❁ وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

❁ وقال ابن عباس – في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم –: ما أرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

❁ قال البغوي: العراف الذي يعطي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: هو الذي يخبر عما في الضمير.

مقدمات: أي: بأشياء ينظمها يستدل بها علىٰ مكان المسروق وقد يعرفها بالآثار كآثار الدابة ورعيها وهذه قد تقع لكن لا يكون من العرافين المذمومين إلا إذا ادعىٰ علم الغيب أما الأمور الحسية فليست من هذا الباب.

عما في الضمير: فيقول أراد فلان كذا وقصد كذا بما يسأله صاحبه من الشياطين والجن.

فائدة: لا يجوز تعلم السحر أبدًا حتىٰ إذا قصد به فك السحر لأنه لا بد وأن يترتب عليه عبادة لغير الله أو فعل محرم أو ترك واجب.

❁ قال أبو العباس: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذا العراف.

وهذه تدل كلها – أي: لنصوص والآثار – علىٰ أن هؤلاء الكهنة والسحرة والرمالين هم المذمومون وهم الذين يدعون علم الغيب.

❁ قال ابن عباس: في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم.

أي: حروف «ابجد» وهي حروف الهجاء. فيكتبون الحروف ويضمونها إلىٰ بعض ويقولون: يقع كذا ويقع كذا.

ما له من خلاق: أي: من حظ ولا نصيب لأن فيه ادعاء لعلم الغيب وهو كفر.

٢٧- باب ما جاء في النُّشْرَة

❁ **عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان»**(١) رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

❁ **وفي البخاري عن قتادة:** قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. ا.هـ.

❁ **وروي عن الحسن أنه قال:** لا يحل السحر إلا ساحر.

النشرة: حل السحر عن المسحور، يقال: نشر عنه إذا حل ما أصابه.

❁ عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**».

يدل الحديث النهي عن النشرة المعروفة في الجاهلية لأن (أل) للعهد الذهني.

وهي حل السحر علىٰ المسحور بسحر مثله.

«**من عمل الشيطان**»: لأن الساحر يتقرب إلىٰ الشياطين بما يحبونه من عبادتهم والنذر لهم فيسعفونهم بإعطائهم الإجابات عما يسألونه مما يخفي عليهم من عمل الساحر، وما فعله في المسحور فهذا من عمل الشيطان.

سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

أي: النشرة التي من عمل الشيطان، والتي يتقرب فيها إلىٰ الشياطين.

❁ **وفي البخاري عن قتادة:** قلت لابن المسيب: رجل طب... لا بأس به.

وهذا الكلام محمول علىٰ الحل الذي لا بأس به وهو الحل بالرقية والمعوذات والأشياء المباحة لأن هذا من الإصلاح والإصلاح مأمور به والمنكر منهي عنه.

❁ **وروي عن الحسن قال:** لا يحل السحر إلا ساحر.

أي: لا يحله بالطرق الشيطانية إلا السحرة. أما حله بالطرق الشرعية فهذا يحله أهل العلم والبصائر وأهل الخبرة والتجارب، ومن القراءة أن يقرأ عليه الفاتحة ويكرر عليه وآية الكرسي أو

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٦٨)، وأحمد (١٤١٦٧)، والحاكم في المستدرك (٨٢٩٢)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٩٣٩٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (٤٥٥٣).

❁ **قال ابن القيم**: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

كلاهما ويقرأ عليه وآيات السحر في الأعراف وطه ويونس والكافرون والمعوذتين وينفث مع القراءة، ويقرأ عليه وعلىٰ زوجته وهذه رقية استعملها العلماء ونفع الله بها.

ومن ذلك ما ذكره بعض المتقدمين أنه تؤخذ ورقات من شجر السدر الأخضر فتدق ويجعل في ماء ثم يقرأ عليه هذه الآيات فيشرب المسحور منه أو المحبوس ثلاث مرات ما تيسر ثم يغتسل بالباقي فيزول عنه ما أصابه. فهذه نشرة شرعية ومن المباح الأدوية المجربة التي لا محظور فيها ولا تكون نجسة ولا استعانة فيها بالشياطين ولا فيها ما حرم الله وهذا الحق والصواب.

❁ **قال ابن القيم**: النشرة نوعان ... وتقدمت.



٢٨- باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**»[١] أخرجاه، زاد مسلم: «**ولا نوء**[٢]، **ولا غول**»[٣]. ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوىٰ ولا طيرة، ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[٤]. ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا فإذا رأىٰ أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٥]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[٦] رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود. ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك**» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[٧]، وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[٨].

[ولم يسجل شرح هذا الباب.]

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٢٢٠).

(٣) رواه مسلم (٢٢٢٢).

(٤) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٥) رواه أبو داود (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣٩٢)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٦٢٩٨)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (٨٤٣).

(٦) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٢٨٥٠).

(٧) رواه أحمد (٧٠٤٥)، والهيثمي في المجمع (٨٤١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في إصلاح المساجد (١/ ١١٦).

(٨) رواه أحمد (١٨٢٤)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٥٧١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد: إسناده ضعيف.

﴿ ٢٩- باب ما جاء في التنجيم ﴾

✽ **قال البخاري في صحيحه:** قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدىٰ بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهىٰ [(١)].

✽ وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

لما كان التنجيم شائعًا معمولًا به ذكره المؤلف.

التنجيم: مصدر نجم ينجبم تنجيمًا أي: حزر وحدس بما يعتقده في النجوم، والتنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية فينظرون في النجوم، واجتماعها وافتراقها وطلوعها وغروبها وتقاربها وتباعدها، ويستدلون بها علىٰ أنه يقع كذا وكذا، وهذا باطل من دعوىٰ علم الغيب التي أبطلها الله بقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

أما النظر في النجوم من باب التسيير لمعرفة منازل القمر لتحديد أوقات الصلاة والمطر فلا بأس به كما هو رأي أحمد وإسحاق بن راهويه.

✽ **قال البخاري في صحيحه عن قتادة قال:** خلق الله هذه النجوم لثلاث.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل: ١٦].

قوله: من تأول فيها غير ذلك أخطأ... بأن زعم أنها تدل علىٰ كذا وكذا من علوم الغيب فقد أخطأ. وأضاع نصيبه أي: من الآخرة. وتكلف ما لا يعلم.

قوله علامات يهتدىٰ بها: هذا علم المنازل والتسيير.

✽ وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه..

وهذا قول مرجوح لهما ورخص فيه أحمد وإسحاق وهو الصواب.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقًا في كتاب بدء الخلق «باب في النجوم». وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة.

وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»[1] رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة...».

«مدمن خمر»: هذا من باب الوعيد لأنه من كبائر الذنوب وصاحبه تحت المشيئة إن لم يتب، إذا لم يستحلها فإن استحلها كفر.

«قاطع الرحم»: كذلك من الكبائر.

«مصدق بالسحر»: أي: إذا صدق أنه حق وأنه يغير الأشياء وأن صاحبه علىٰ حق وأنه مصيب أو أن صاحبه يعلم الغيب فهذا يكون كفرا وصاحبه كافر.

أما إذا صدق بأنه موجود وأن له تأثير ولكن يعلم أنه حرام ومنكر، فهذا لا حرج فيه لأن الله أخبر أنه موجود كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٥٣٤٦)، والحاكم في المستدرك (٧٢٣٤)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد: قوله منه: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر» حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي حريز.

٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

◈ **وقول الله تعالىٰ:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

◈ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**»، وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم(١).

أي: طلب السقيا وهو المطر. وقد شرع الله الاستسقاء به سبحانه. والاستسقاء: الضراعة إلىٰ الله عند وجود الجدب. بدلًا مما عليه أهل الشرك من الطلب من النجوم والتعلق بها والاستغاثة بها وكانوا يستسقون بالنجوم وهي الأنواء، وهي ثمان وعشرين نوءا ينزلها الشمس والقمر في مدارها ينزلها القمر في الشهر والشمس في السنة وكانوا في الجاهلية يتعلقون بها ويستغيثون بها وهذا من شركهم وضلالهم.

◈ **كما قال سبحانه:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢] تكذبون إنزال الله للمطر وإغاثته لكم وتسألون النجوم وتستغيثون بها فكذبهم لذلك لأن هذه النجوم لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا من الأمر.

فوجب علىٰ المؤمنين الأخذ بما جاء عن النبي ﷺ والعمل به والحذر مما عليه أهل الجاهلية ومن ذلك:

◈ **عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن..»** أي: لا يزال في الناس من يتعاطاها ويتأس بالكفرة.. ومنها:

١ - «**الفخر بالأحساب**»: فيقول: أنا ولد فلان ويتعظم بذلك ويحتج علىٰ باطله ويفتخر بها علىٰ الناس، والأحساب: هو ما يكون للآباء من مآثر وشجاعة وجود وكرم وهو من سنة الجاهلية لأن رفعة الإنسان بعمله أما عمل غيره فليس له.

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤).

۞ **ولهما عن زيد بن خالد** ﷺ **قال**: صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ أثر سماء كانت من الليل،...

٢ – «**الطعن في الأنساب**»: بأن ينتقص الناس فيقول فلان نجار وفلان حداد وفيه كذا وكذا علىٰ سبيل التنقص والعيب لا علىٰ سبيل الخبر فلا بأس فيه.

٣– «**الاستسقاء بالنجوم**»: فيقول: سقينا بنوء كذا وكذا ويسألونها مباشرة.

٤ – **النياحة**: إذا مات الميت صاحوا ومزقوا ثيابهم ونتفوا شعورهم ويحثون التراب عليهم وهو موجود عند بعض المسلمين فيجب الحذر منها ومحاربتها.

وفي الحديث: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعىٰ بدعوىٰ الجاهلية**»[1] وقال «**أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة**»[2] الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة.

قوله: «**والنائحة إذا لم تتب.. سربال من قطران ودرع جرب**»: الغالب في النائحة أن تكون في النساء ولذلك عبر بالأنثىٰ، وقد يفعله الرجال، وهو محرم علىٰ الرجال والنساء. وذكر القطران لأنه أشد في الأشتعال والأذىٰ وكذلك الدرع من الجرب مؤذي. وهذا بيان لسوء عاقبتها ومنقلبها إلا إذا تابت.

مسألة: لا بأس أن يتزوج الإنسان من أناس ليسوا ذوي حسب وإن كانت المرأة ذات دين خوفًا من أذىٰ قومه ومضايقتهم له وهذه عادات ولا بأس فيها. بشرط أن لا يكون تركه لهم لتنقصهم واحتقارهم عنده.

فائدة:

بعض القرىٰ يذبحون الذبائح في رؤوس الجبال لينزل المطر وهذا من الشرك الأكبر لأنه من الذبح للجن والأحجار والأصنام وقد ينزل المطر فيكون ابتلاء لهم.

۞ **ولهما عن زيد بن خالد قال**: صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية.

أثر سماء: أي: أثر مطر، سمي سماء لأنه ينزل من جهة العلو.

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٤) ومواضع، ومسلم (١٠٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا، ورواه مسلم برقم (١٠٤).

.... فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»[١].

❁ ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥] إلى قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: ٨٢][٢].

فلما انصرف عن صلاته أقبل على الناس بوجهه: من عادته ﷺ أنه إذا سلم استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام...**» ثم يعطي الناس وجهه ويذكر بقية الأذكار.

الله ورسوله أعلم: هذا من أدب الصحابة ﭫ وبعد موته ﷺ يقال: الله أعلم لأن الوحي انقطع فلا يعلّم ما بعده كما في الحوض إلا ما يعرضه الله عليه كالصلاة عليه.

قوله: «فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب»: لأنه علم أن الله منزل الأمطار وهذا المطر من رحمة الله وفضله.

«أما من قال: مطرنا بنوء كذا»: لأنه من أنواع الكفر، ولا يقول صدق نوء كذا أو سقينا بنوء كذا: بل يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته.

«مطرنا بنوء كذا»: إن قصد به أنه هو الذي خلق المطر وهو المتصرف في الكون فهذا كفر أكبر وإن قصد أنه سبب لهذا المطر فهذا من أنواع الكفر، ولكنه كفر أصغر لأنه ليس هو المتسبب بل كله من الله تعالى، والنجم ظرف من الظروف، تقع فيه الحوادث كما تقع في الأيام والليالي، أما إذا قال: مطرنا في الصيف أو نحوه فلا بأس لأنه إخبار عن الوقت. فالواجب الحذر من أخلاق الجاهلية والاعتراف بنعمة الله سبحانه. اهـ.

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٨، ٤١٤٧)، ومسلم (٧١).

(٢) رواه مسلم (٧٣)، بلفظ: «**وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا.....**»، ولم أجده عند البخاري.

٣١- باب قول الله تعالى

۞ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية.

۞ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

هذا الباب في إثبات محبة الله وأنها من أهم العبادات وأفضل القربات وأساس الدين لأن حبه يقتضي الإخلاص له والامتثال لأمره، وترك نهيه والانقياد له والآية تبين أن من الناس من يتخذ أندادًا من الجن والإنس والأحجار يحبونهم كحب الله محبة عبادة فصار حبهم لهذه الأنداد كحبهم لله أو كحب المؤمنين لله، وهؤلاء ضلوا فأحبوا مع الله ونذروا وخضعوا ودعوا لمن أحبوهم. ومحبة غير الله يجب أن تكون تابعة لمحبة الله كمحبة الرسل نحبهم لأنهم رسل الله فلا نحبهم محبة عبادة وكذلك المؤمنين نحبهم لأنهم أطاعوا الله فنواليهم، أما محبة الذل والعبادة فهذا لله وحده لا يشاركه فيها أحد والمشركون يصرفون هذه المحبة للأنداد وبعضهم يجرأ علىٰ الحلف بالله كاذبًا ولا يجرأ علىٰ الحلف بالأنداد والشيوخ كاذبًا ويقول هذه الأنداد أشد وأسرع انتقامًا من الله.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]: من محبة هؤلاء المشركين لأندادهم لأنهم أخلصوا العبادة لله وعرفوا حقه تعالىٰ.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]: أي: لو رأوا ذلك واستحضروه لأحبوا الله أكثر وعظموه وأخلصوا له ولكن جهلهم وقلة بصيرتهم أوقعهم في الشرك.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦]: أي: إذا رأىٰ المعبودون من أولياء الله والرسل وتبرأوا من عبادتهم ويقولون: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣] أما المحبة الطبيعية كمحبة الطعام والنساء والأولاد فهذه لا تقدح في محبة الله إذا لم تؤثر علىٰ محبة الله، فإن زادت حتىٰ صارت قادحة في محبة الله - كأن يطيع زوجته في معصية الله - فإن هذه المحبة تكون منقصة للإيمان بقدر ما تؤثر علىٰ محبة الله فلا بد أن تكون مقيدة بشرع الله.

❁ عن أنس ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» أخرجاه[١].

❁ **ولهما عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[٢]، وفي رواية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتىٰ..**» إلىٰ آخره[٣].

وعن ابن عباس ﵄ قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك،..

❁ **وعن أنس مرفوعًا: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس».**

وهذا يدل علىٰ وجوب محبة رسول الله ﷺ محبة تليق به وتقتضي اتباعه وامتثال أمره وترك نواهيه ولا تكون محبة عبادة بل تابعة لمحبة الله.

❁ وعنه مرفوعًا: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان....**».

تدل علىٰ وجوب محبة الله ورسوله علىٰ غيرهما من الآباء والأبناء والأموال فيطيع الله ويعمل بأمره ولو خالف هوىٰ ولده أو زوجه أو غيرهما وهكذا الآية ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾ [التوبة: ٢٤] تدل علىٰ وجوب تقديم الجهاد في سبيله إذا وجب النفير علىٰ هوىٰ النفس والأقارب وإلا كان متوعدًا كما قال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وهذا من أسباب كمال الإيمان ويجب عليه أن يبغض الكفر وأهله ويعتقد بطلانه.

وفي الحديث: «**سبعة يظلهم الله...**» وذكر «**وشابان تحابا في الله اجتمعا عليه**»[٤].

❁ **وقال ابن عباس:** من أحب في الله وأبغض في الله ووالىٰ في الله.... طعم الإيمان. أي: حلاوته.

فإنما تنال ولاية الله بذلك: أي: تنال ولاية الله بالموالاة والمعاداة في الله.

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٦) ومواضع، ومسلم (٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤١).

(٤) رواه البخاري (٦٦٠) ومواضع، ومسلم (١٠٣١).

.... ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتىٰ يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا» رواه بن جرير.

❁ وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة.

حتىٰ يكون كذلك: أي: يوالي ويعادي.

وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا: هذا في زمانه ﷺ أي: غلب علىٰ الناس الحب والبغض في الدنيا وهذا أمر خطير.

وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا: بل قد يضرهم إذا صدهم عن الحق وخالف شرع الله أما إذا اشتغلوا بالدنيا في البيع والشراء وطلب الرزق وكان لا يضر إيمانهم ولا يوقعهم في المعاصي ويستعينون بذلك علىٰ طاعة الله فهذا لا حرج فيه.

❁ **وقوله**: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦] قال ابن عباس: المودة.

أي: التي كانت بينهم علىٰ غير دين الله. انقطعت يوم القيامة وخانتهم وصارت عداوة.



٣٢- باب قول الله تعالى

۞ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

۞ **وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

۞ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أراد المؤلف أن يبين وجوب خوف الله تعالىٰ خوفًا يحمله علىٰ الإخلاص له وأداء ما فرض عليه والوقوف عند حدوده، والخوف ثلاثة أقسام:

١- الخوف من الله:

وهو أعظمها وأوجبها ويجب فيه الإخلاص وصرفه لغيره شرك، شرك أن خاف منها أن تصيبه بمكروه.

٢- خوف يحمل على فعل معصية الله وترك الواجب:

وهو الخوف من المخلوق، وهو معصية، وفيه نزل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ويحمله علىٰ ترك الجهاد، والواجب ألا يخاف الإنسان من المخلوق إلا خوفًا يحمله علىٰ ما شرعه الله وأباحه ولا يحمله علىٰ المعاصي فالخوف من المخلوق في الأشياء الحسية والطبيعية جائز لا بأس به فهو فطري ويشرع الحذر من مقتضاه كالخوف من اللص فيغلق بابه أو يخاف من سبع فيحمل السلاح أو المرض ونحوها، والترجمة في النوع الثاني وهو الذي حدث في أحد من بث الشيطان الخوف في قلوب المؤمنين من الكافرين والتثبيط عن الجهاد فنهاهم الله وأمرهم بالثبات فنفر إليهم النبي بعد أحد ولم يحصل قتال لأنهم فروا.

٣- الخوف الطبيعي:

من اللص والسبع والمرض ونحوه.

۞ **وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] هذا الخوف الذي أوجبه الله ويستثنىٰ منه الخوف الطبيعي العادي.

❁ وقولـه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية.

❁ عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذمهم علىٰ مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»[1].

❁ **قولـه:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

هذا ذم لهم وهو أن بعض الناس إذا أوذي لم يصبر بل يحمله الخوف علىٰ فعل ما حرم الله وترك طاعة الله وما أمر به، وهـذا مـذموم لأن الوجـب أن يتقـي الله وإذا أوذي في الله أخـذ بالأسباب الشرعية من طلب المحاكمة والشكوىٰ إلىٰ ولاة الأمور وغير ذلك.

❁ **وعن أبي سعيد مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله».**

أي: من ضعف الإيمان أن تسخط الله لترضي النـاس وأن تـشكر النـاس عـلىٰ النعمـة التـي ساقها الله إليك بواسـطتهم والواجـب أن تـشكر الله، وإذا فعلـوا معروفًـا لـك فـإنهم يـشكرون ويجازون لكن الحمد كله لله وحده هو الذي هداهم وجعلهم يحسنون إليك، فيجب حمـد الله أولًا وتخصيصه بذلك وتشكر المخلوقين علىٰ قدر إحسانهم ومعروفهم و«**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**» ولكن يكون حمد الله أعظم لأنه هو المتسبب في ذلك فحرك قلوبهم إلىٰ الإحسان إليك.

«**وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله**»: أي: تذم لأنهم لم يصنعوا لك الخير الـذي لم يكتبـه الله لك والواجب أن تسال الله من فضله وإذا كان حقك عندهم فإن الله لا يضيعه وسوف تأخذه يوم القيامة. وهذا لا يمنع أن يطالب الإنسان بحقه كحقه في الزكاة إن كان من أهلها، ولكـن لا يذمهم من أجل عدم إعطائهم بل يذم من ذمه الله ويحمد من حمده الله فذمهم لأنهم منعـوا حق الله وفعلوا ما لا ينبغي لا من أجل أنهم لم يعطوك فلا تنتقم لنفسك.

---

(١) روىٰ نحوه الطبراني في الكبير (١٠٥١٤)، ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٧)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، والهيثمي في المجمع (٦٢٩١)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه خالد بن يزيد العمري واتهم بالوضع. وقال العلامة الألباني ﷺ في السلسلة الضعيفة (١٤٨٢): موضوع.

❁ **وعن عائشة** رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**من التمس رضىٰ الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضىٰ الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»[1] رواه ابن حبان في صحيحه.

قوله: «إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره»: أي: الذي لم يقدر لك لا يأتي بالحرص عليه بل عليك بأخذ الأسباب ولكن إذا لم يحصل المطلوب فإنه لا يعجز وما قدره الله من الرزق لا يرده أحد ولو كره الناس.

❁ **حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضىٰ الله بسخط...»**.

هذا يدل علىٰ أنه يجب علىٰ المسلم أن يلتمس رضىٰ الله ويأخذ بالأسباب لأنه إذا رضي الله حصل له كل خير وإذا سخط حصل له كل شر.

ولكن إرضاء الله لا يمنع من الأخذ بالأسباب التي تدفع سخط الناس وإذائهم ولكن بدون سخط الله أما إذا كان يسخط الله فإنه لا يفعله ولا يخافهم ويتوكل علىٰ الله.

وفي رواية عن عائشة: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله ومن التمس رضا الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا وعاد حامده له ذامًّا».

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٢٤١٤)، ورواه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٩٦٠)، وصحح العلامة الألباني رحمه الله لفظ الترمذي في صحيح الجامع (٦٠٩٧).

٣٣- باب قول الله تعالى

❁ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

❁ **وقوله:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] الآية.

❁ **وقوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

❁ **وقوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

❁ **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي[(١)].

❁ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه في جميع أمور الدين والدنيا والتوكل هو التفويض إلى الله والثقة به والإيمان بأنه مسبب الأسباب وكل شيء بيده وما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ويعلم أن القدر قد سبقه بكل شيء وليس للعبد قدرة على أي شيء لم يشأه سبحانه وتعالى مع الأخذ بالأسباب.

❁ **وقوله:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ....﴾ [الأنفال: ٢] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

أي: كافيك الله وكافي أتباعك عن كل أحد ومن كفاه الله ما أهمه لم يحتج إلى أحد، فالواجب على المؤمن أن يتوكل على الله مع أخذه بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه وترك الأسباب التي تضره في دينه ودنياه. فيعمل الطاعات ويترك المعاصي لينال الجنة ويأكل ويشرب ويتجنب ما يضره لأن هذا سبب حياته فهذا لا ينافي التوكل بل التوكل مجموع الأمرين:

١- الثقة بالله وأنه مسبب الأسباب ومصرف الأمور وكل شيء بيده.

٢- الأخذ بالأسباب.

وليس التوكل ترك الأسباب كما تقول الصوفية بل لا بد من الأمرين ويستعين بالله في ذلك.

❁ **حديث ابن عباس قال:** ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. قالها إبراهيم حين...

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣).

....

قالها إبراهيم فأنجاه الله من النار حين ألقاه النمرود وقال: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكفاه شرها وشرهم ونجاه منهم وصارت آية معجزة تدل على صدق رسالته وقال محمد ﷺ بعد أحد حين قالوا له: إن المشركين قد جمعوا لكم ليكروا عليكم ثانية فقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» فكفاه الله.

وهكذا ينبغي للمسلم أن يقولها عند الشدائد لكن هذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب لأن النبي قالها وقد لبس الدرع وحمل السلاح ووضع الخوذة على رأسه وكذلك فعل أصحابه. ويوم الأحزاب حفر الخندق. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].



٣٤- باب قول الله تعالى

❁ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**»[1].

❁ **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال:** «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق.

❁ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩].

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾ [الحج: ٥٦].

هذا الباب لبيان تحريم الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله وبيان بعض هذه الكبائر. فالأمن من مكر الله من الكبائر وهو يفضي إلىٰ التساهل في محارم الله، لأن من أمن من مكر الله ساءت أعماله وأخلاقه وتصرفاته ولم يخف الله، والقنوط هو اليأس من رحمة الله، كذلك فإنه يسوء ظنه بالله وتنكسر نفسه وتحترق. والواجب أن يكون المسلم بين الأمرين فيرجو الله ويخاف ذنوبه ومعاصيه فلا يغرق في المعاصي ويأمن مكر الله، وكذلك لا ييأس من رحمة الله بل يكون كالطير بين الجناحين، وفضل بعض العلماء جانب الخوف في حال الصحة لأنه أقدر علىٰ المعاصي وجانب الرجاء في حال المرض لأنه يضعف من الأعمال والطاعات والأصل أن يكون بينهما.

❁ **حديث ابن عباس مرفوعًا:** سئل الرسول عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**».

هذا يروى مرفوعًا وموقوفًا والموقوف له حكم الرفع لأنه لا يقال بالاجتهاد وربما قالها ابن عباس عن نفسه اجتهادًا واستدلالًا بالنصوص. والكلام صحيح علىٰ كل حال.

❁ **قال ابن مسعود:** أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله.. والشرك أعظم الذنوب وبه تحبط جميع الأعمال.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٣٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

....

وكذلك القنوط وهو شدة اليأس وهو من الكبائر لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

هذا استفهام بمعنىٰ النفي أي: أن هذا من صفاتهم فقط والكبائر الأخرىٰ غير الشرك لا تحبط به الأعمال.



٣٥- باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضىٰ ويسلم.

❁ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة علىٰ الميت**»[(١)].

أراد المؤلف أن يبين أن الصبر علىٰ ما يقدره الله من الإيمان، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يجزع عند المصيبة في نفسه أو ولده أو ماله أو أهله بل يتحمل قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٦] هذا بعد قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ...﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠].

وفي الحديث: «**ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»[(٢)].

❁ **وقوله:** ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة...

أي: يؤمن بأن الله قضىٰ وقدر المصيبة فيحتسب ولا يجزع وبهذا يهدي الله قلبه للخير ويطمئنه ويسدده بسبب عمله الطيب. قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم وقبلها: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١].

❁ **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اثنان في الناس هما بهم كفر...»**.

«**الطعن في الأنساب**»: أي: التنقص في الأنساب تكبرًا وتعاظمًا علىٰ الناس واحتقارًا لهم فهذا من الكفر المنكر أي: شعبة من شعب الكفر وهو كفر دون كفر وهو من الكفر الأصغر لا الأكبر.

وهو من خصال الجاهلية وفي الحديث السابق: «**أربعة في أمتي من أمر الجاهلية**».

أما إذا قصد بالنسب التعريف بالناس فلا بأس ولا يدخل في الحديث.

---

(١) رواه مسلم (٦٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

❁ ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»(١).

❁ وعن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافىٰ به يوم القيامة**»(٢).

❁ **وقال النبي ﷺ**: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**، ....

«**النياحة علىٰ الميت**»: هذا يدل علىٰ الجزع وهو رفع الصوت بالصياح والنياحة فلا يجوز، أما دمع العين وهو البكاء فلا بأس كما في الحديث: «**والعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله وإنا علىٰ فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٣).

❁ **حديث ابن مسعود مرفوعًا**: «**ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا...**».

وهذا يدل علىٰ الجزع أيضًا وهو من عمل الجاهلية ويجب الصبر والثبات والعلم بأن الله قدر هذه الأقدار وقسمها ولا بد من الموت ومع هذا يتعاطىٰ الأسباب الشرعية.

وفي الحديث: «**أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة**».

❁ **عن أنس مرفوعًا**: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد..**».

إذا أراد بعبده تكفير السيئات عجل له العقوبة إما بالفقر وإما بالمرض أو تلف ماله... فيكفر الله بها خطاياه وسيئاته، وإذا أراد الشر أمسك عنه بذنبه فيكون معافىٰ في كل شيء حتىٰ يوافىٰ ذنوبه كلها في الآخرة فيكون أشد من الدنيا.

فكثرة المصائب قد يمحىٰ بها جميع المعاصي والسيئات فعليه بالصبر.

❁ **وقال النبي ﷺ**: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء..**».

أي: كلما عظم البلاء عظم الجزاء فإذا اشتد المرض وكثر فيكون التكفير أكثر وإذا اشتدت المصيبة في المال وغيره صار الجزاء أعظم والثواب أكثر.

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٤) ومواضع، ومسلم (١٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، والحاكم في المستدرك (٨٧٩٩)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٤٢٥٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

.... **وإن الله تعالىٰ إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط»**[١] حسنه الترمذي.

قوله: «وإذا أحب الله قومًا ابتلاهم»: أي: ابتلاهم ليمحص ذنوبهم ويزيل خطاياهم حتىٰ يلقوه سالمون من الذنوب فيدخلون الجنة من أول وهلة ومثل هذا حديث: **«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه»**[٢].

وفي رواية: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه»[٣] فإذا كان دينه قويًا شدد عليه البلاء.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٨٠٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١١٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن حبان (٢٩٠٠)، والحاكم في المستدرك (١٢١)، والبيهقي في الكبرىٰ (٦٣٢٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٩٤).

(٣) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد: إسناده حسن.

٣٦- باب ما جاء في الرياء

❁ وقـــول الله تعـــالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] الآية.

❁ **وعن أبي هريرة مرفوعًا: «قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»** رواه مسلم[(١)].

هذا الباب عقده المؤلف للتحذير من الرياء، والرياء مصدر راءىٰ يرائي؛ أي: أظهر عمله ليراه الناس ويثنوا عليه أو ليحصل به غرضًا دنيويًا، أو يسمع بقراءته وتسبيحه أو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ولهذا جاء في الحديث: **«من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به»**.

وفي رواية: **«من راءىٰ راءىٰ الله به، ومن سمع...»**[(٢)] أي: يفضحه والجزاء من جنس العمل والواجب علىٰ المسلم أن يخلص العمل ويرجو الثواب من الله.

❁ **قوله:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

العمل الصالح لابد فيه من أمرين:

١- الإخلاص لله وحده في جميع أنواع العبادات.

٢- أن يكون موافقًا للشريعة وليس بدعة.

فمن كان يرجو لقاء الله صادقًا في رجائه فليعمل عملًا صالحًا موافقًا للشريعة ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

❁ **وعن أبي هريرة مرفوعًا:** قال الله تعالىٰ: **«أن أغنىٰ الشركاء عن الشرك من عمل..»**.

هذا بيان براءة الله من الأعمال التي فيها شرك وأن الله لا يقبل عملًا فيه شرك لغيره، وفي لفظ **«أنا بريء منها بل هي لمن أشركه»** فهذا يدل علىٰ وجوب الإخلاص.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

۞ **وعن أبي سعيد مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»** قالوا: بلىٰ يا رسول الله! قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرىٰ من نظر رجل**» رواه أحمد[(١)].

۞ وفي الحديث الصحيح، عن أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من الدجال...**».

ويقول الله يوم القيامة للمرائين: «اذهبوا إلىٰ من كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[(٢)] وهذا يدل علىٰ خطورة الرياء خاصة علىٰ العباد. فخاف علىٰ الصحابة وهم أفضل الناس، لأن الرياء يقع في الصالحين ويبتلون به كغيرهم ويتساهلون به.

والدجال ممكن أن يعرف بعلامات لكن الشرك الخفي أشد منه لأنه يكون في القلوب، ولا يطلع عليه الناس لكن قد يعرف بعلامات تظهر علىٰ صاحبه ويقول النبي فيما صح عنه: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه قال: «**الرياء يقول الله يوم القيامة للمرائين...**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١١٢٧٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٣٣٨٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه وهو نفسه السابق.

٣٧ - باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

❁ وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦] الآيتين.

الشرك نوعان: أكبر وأصغر، وهذا قد يكون من الأكبر وتارة يكون من الأصغر. فإذا أراد بإسلامه ودخوله الدين الدنيا فهذا شرك أكبر كالمنافقين فهم في الدرك الأسفل من النار. وتارة يكون أصغر كمن يرائي بقراءته وأمره ونهيه أو يجاهد لأجل الغنيمة ليس لله وهو مؤمن مسلم لكن تعرض له هذه الأمور.

❁ **قال تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥] أي: لا ينقصون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦] وهذا وعيد. والآية في الكفار الذين عبدوا الله لأجل الدنيا كالمنافقين، وعمومه يوجب الحذر من إرادة الإنسان بعمله الدنيا ولو كان ذلك في بعض الأمور.

وهكذا قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

وكذلك قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ...﴾ [الإسراء: ١٨] وفي الآية قيد أطلقته الآية السابقة، وهو أن ليس كل من أراد الدنيا تحصل له فقد يحصل له بعض ما أراد.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩].

فالإرادة لا تكفي وحدها بدون السعي والإيمان فلا بد من عمل وإيمان بالله وتوحيد له وإخلاص فهذا هو الذي يكون سعيه مشكورًا من الله ومن المؤمنين.

فيدل على وجوب الإخلاص وأن العمل يبطل مع الشرك بالله.

❁ **وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبىٰ لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»**(١).

❁ **وفي الصحيح عن أبي هريرة قال:** قال رسول الله ﷺ: **«تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار»**.

في الصحيح: صحيح البخاري.

«الخميلة»: كساء سادة ليس فيه نقوش. **الدينار**: من الذهب. **الدرهم**: من الفضة.
«الخميصة»: كساء له أعلام منقش.

أي: تعس من هذا قصده بعمله ودخوله في الإسلام أو عمل ما أظهر من أعمال الإسلام فتعس من كان عمله لأجل النقود وهذا المتاع كالمنافقين وغيرهم، لأنه يذهب ثوابه ويحصل له الإثم والوزر، فدعىٰ عليه بالتعاسة والانتكاسة.

«إذا شيك فلا انتقش»: أي: فلا يوجد من يخرجها وهذا دعاء عليه بتعسير الأمور وسوء العاقبة.

«طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله»: أي: من شدة عنايته وانشغاله بالجهاد غير متفرغ للعناية بترجيل شعره ودهنه ونحوه، وغير متفرغ لتنظيف بدنه.

«إذا كان في الحراسة كان في الحراسة..» أي: مغمور في الناس غير معروف وهذا من كمال إخلاصه وصدقه فلا يتحرىٰ مناصب الأمور ومعاليها ولا التقدم عند الملوك والأمراء والوجهاء فلهذا لا يعرفونه. فهذا له الجنة والكرامة بخلاف المنافق ومن كان عمله للدنيا في أمره ونهيه وجهاده أو غير هذا من شئون الدين فقد حبط عمله.



---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

❁ **وقال ابن عباس**: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟![1].

❁ **وقال الإمام أحمد**: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

أراد المؤلف بهذه الترجمة تحقيق التوحيد واتباع الشريعة وتعظيم أمر الله ونهيه والحذر من تقليد الشيوخ والأمراء فيما يخالف شرع الله وهو التقليد الأعمىٰ.

فالواجب علىٰ أهل العلم والإيمان أن يعظموا أمر الله ونهيه، وأن يحلوا ما أحل الله، وأن يحرموا ما حرم الله ورسوله، وألا يطيعوا أحدًا في خلاف ذلك، فالطاعة إنما تكون في المعروف فطاعتهم في خلاف شرع الله حرام، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا يطيع والده أو ولده أو زوجه في خلاف الشرع من الحل والحرمة.

وطاعتهم فيما يخالف الشرع هو اتخاذهم آلهة من دون الله كما سيأتي إن شاء الله.

❁ **قال ابن عباس**: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم: قال رسول الله ﷺ وتقولون..

يوشك: يقرب. حجارة من السماء: وعيد لهم بالعقوبة.

المعنىٰ: أحتج عليكم في المسألة بأمر الله ورسوله فتخالفون وتردون عليَّ بخلاف أمر الله ورسوله بقول أبي بكر وعمر، فهذا يدل علىٰ أنه لا يجوز مخالفة أمر الله ورسوله ولو قال أبو بكر وعمر وهم خير الناس بعد الأنبياء فمن دونهم من باب أولىٰ ألا يطاعوا فيما يخالف الشرع. وهذا حث من ابن عباس علىٰ اتباع الشرع والحذر من تعظيم الرجال فيما يخالف الشرع.

❁ **قال أحمد بن حنبل**: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلىٰ قول سفيان.

---

(١) روىٰ نحوه أحمد (٣١٢١)، عن ابن عباس بلفظ: أراهم سيهلكون أقول: قال النبي ﷺ ويقول: نهىٰ أبو بكر وعمر. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ مسند أحمد: إسناده ضعيف.

❁ **عن عدي بن حاتم**: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟**»، فقلت: بلىٰ. قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)] رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

أي: عرفوا أنه صحيح إلىٰ النبي ﷺ والصحابة. وهذا من إنكار الإمام أحمد علىٰ من يفعل ذلك وأنه لا يليق به. ثم قال: والله يقول: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

الفتنة: الشرك لعله إن رد بعض قوله أن يقع في شيء من الزيغ فيهلك. فيخشىٰ عليه من الفتنة أن يفتتن ويقع في الشرك والردة، وهذا فيه حذر أيضًا عن مخالفة النص، وإن كان المخالف عالمًا عظيمًا. وكان الصحابة ومن بعدهم يصرحون بأنه لا يجوز طاعتهم في مخالفة أمر الله ورسوله. فالوعيد فيمن استحل المحرم بفتوىٰ زيد وهو يعلم أنه خلاف الشرع.

❁ **عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي يقرأ**: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

فمن أطاع العلماء والأمراء في تحليل الحرام أو العكس واعتقاد أن هذا جائز مع العلم بأنه خلاف شرع الله فهذا يكون عبادة لهم وكفر، أما إذا اتبعهم جهلًا أو اجتهادًا فهذا لا يكون عبادة لهم ولا يدخل في الوعيد؛ لأن الإنسان مطالب بسؤال العلماء والأخذ بفتواهم فيما لا يعلم مخالفته لشرع الله.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (٢١٨)، والبيهقي في الكبرىٰ (٢٠١٣٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في غاية المرام (٦).

٣٩- باب قول الله تعالىٰ

❁ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾ [النساء: ٦٠] الآيات.

❁ وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١].

❁ وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] الآية.

❁ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝﴾ [النساء: ٦٠].

أراد المؤلف بيان التحذير من التحاكم إلىٰ غير الله وأن الواجب التحاكم إلىٰ شريعة الله في كل الأمور كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ ﴿... ٱلظَّٰلِمُونَ ۝﴾ ﴿... ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾ [المائدة: ٤٤-٤٧] فهذه تدل علىٰ وجوب التحاكم إلىٰ شرع الله وأنه لا يجوز التحاكم إلىٰ غيره كائنًا من كان وهذا أصل مجمع عليه.

وتبين الآية أن بعض الناس يدعي الإيمان والإسلام وهو ليس كذلك بل هو من المنافقين. فإذا جاءت الحوادث والخصومات طلبوا التحاكم إلىٰ غير الله وإلىٰ الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله، وكل من حكم بغير ما أنزل الله عن عمد وهوىٰ، فالمنافقون يريدون من يوافق هواهم ويأخذ الرشوة ليحكم لهم بغير شرع الله، وهذا دليل علىٰ نفاقهم وهذا شأنهم الإعراض عن الحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝﴾ [النساء: ٦١] فالواجب الحذر منهم ومن أخلاقهم الذميمة.

❁ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١].

فيزعمون أنهم مصلحون مع إفسادهم لجهلهم وضلالهم ونفاقهم انقلبت عليهم الأمور حتىٰ صار الفساد صلاحًا ولهذا قال تعالىٰ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝﴾.

❁ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وصلاح الأرض باتباع الشرع وتحكيمه، وفسادها بمخالفة أمر الله والتحاكم إلىٰ غيره.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية.

۞ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١) قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

۞ **وقال الشعبي:** كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

۞ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أي: يريد هؤلاء المتحاكمين إلىٰ اليهود وغيرهم من الطواغيت التحاكم إلىٰ حكم الجاهلية، وهل هناك حكم أحسن من حكم الله؟ فهو أعلم بمصالح عباده والعالم بما تنتهي إليه أمورهم وعواقبهم فهو عالم بكل شيء.

۞ **عن عبد الله بن عمر مرفوعًا: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به».**

أي: لا يؤمن الإيمان الكامل الواجب حتىٰ يكون هواه وإرادته وقصده وطلبه تبعًا لما جئت به وهكذا ينبغي أن تكون ميول المؤمن ونياته خاضعة لحكم الله.

وضعف بعض العلماء هذا الحديث ولكن معناه صحيح.

۞ **قال الشعبي:** كان بين رجلين من المنافقين واليهود خصومة وقيل...

فهذا يدل علىٰ أن المنافق أشر من اليهود لأنهم يلبسون علىٰ الناس أمرهم ويحصل بهم الضلال فصاروا بذلك في الدرك الأسفل من النار.

فالواجب التحاكم إلىٰ شرع الله وعدم الرضىٰ بغيره، وتدل قصة عمر أن التحاكم إلىٰ غير شرع الله كفر وردة، ومن كره حكم الله فهو كافر.

وفي القصتين نظر لكن المعنىٰ صحيح.

الشعبي: عامر بن شراحيل.

---

(١) ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١٥)، ومشكاة المصابيح (١٦٧).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

فائدة:

«**خلق الله آدم علىٰ صورته**»[١] أي: خلق الله آدم سميعًا بصيرًا متكلمًا ذا وجه ويد وقدم ونحوه مما هو ثابت، فالله يسمع وآدم يسمع والله متكلم وآدم متكلم... ولكن لا يشبهه في الذات ولا في الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

أما من قال أن الضمير يرجع إلىٰ آدم فخطأ وقصده الفرار من التشبيه.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

٤٠- باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية.

❁ **وفي صحيح البخاري قال علي:** حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟(١).

هذا الباب عقده المؤلف لبيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه وتعالىٰ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وأن لا يغتر بأقوال أهل الاعتزال وأهل الباطل، بل يجب الأخذ بما قاله أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن سلك سبيلهم وهو الذي جاءت به الرسل جاءوا بإثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به وهكذا فعل الصحابة وتابعوهم أمروا آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت وأثبتوا ما دلت عليه من الأسماء والصفات عملًا بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١- ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥] أي: لا سمي له ولا كفوء له سبحانه وتعالىٰ.

وأنكرت الجهمية الأسماء والصفات وتأولوا الأسماء حتىٰ صاروا معطلة ومقتضىٰ قولهم نفي وجود الله بالكلية ولهذا حكم عليهم أهل السنة بالكفر، والواجب قتلهم إن لم يتوبوا فيستتابوا لذلك لإنكارهم ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة والإجماع.

وأطلق المؤلف الترجمة ولم يحكم علىٰ جاحد الأسماء والصفات وحكمه الكفر.

❁ **قوله تعالىٰ:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

بين الله تعالىٰ أن الرحمن هو ربنا وإلهنا وأن كفر الكافرين بالرحمن كفر بالله فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر من صفات هؤلاء الضالين، وعليه أن يسلك مسلك أهل العلم والإيمان. وسمىٰ إنكارهم الصفة: كفر بالرحمن فدل علىٰ كفر من أنكر الصفات.

❁ **وفي صحيح البخاري قال علي:** حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله.

---

(١) رواه البخاري (١٢٧).

❁ وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأىٰ رجلًا انتفض - لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك - فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه[1] انتهىٰ.

لفظ البخاري: أتحب أن يكذب الله ورسوله. فالمؤلف رواه بالمعنىٰ.

والمعنىٰ: أنه يجب علىٰ الواعظ والمذكر أن يذكر الناس بالألفاظ التي يعرفونها والأساليب التي يعقلونها حتىٰ يستفيدوا وينتفعوا. لأن كل قوم لهم أساليب لأنك إذا حدثت قومًا بما لا يفهمون قد يصدقونك علىٰ غير ما أردت. وقد يفهمون غير ما قصدت. سواء في أسماء الله وصفاته أو أحكامه سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الأردية أو غيرها. والعرب أنفسهم يختلفون في فهمهم فيحدث كل أناس بما يعرفون من العبارات التي اعتادوها حتىٰ يفهموا ما قلت وحتىٰ لا يكذب الله ورسوله.

وهؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله في لغات الصفات وقعوا في خطر عظيم لأنهم تأولوا الصفات علىٰ غير تأويله وتكلموا فيها بغير ما ينبغي حتىٰ عطلوا صفات الله.

وكثير منهم قد يكون فهم الأمر علىٰ غير ما هو عليه لعجمته، كما قال بعض السلف لعمرو بن عبيد قال: إن العصاة مخلدون في النار لأن الله أوعدهم بذلك. فقالوا له: إن الله يخلف إيعاده ولا يخلف موعده. لأن إخلاف الإيعاد كرم وجود وأما إخلاف الموعد فلؤم ولهذا يتنزه الله عنه، وقالوا له: من عجمتك أوتيت أي: ظننت إخلاف الإيعاد أمر مستقبح وليس كذلك كما قال الشاعر:

وأني وإن أوعدته أو واعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فهذا مدح.

❁ وروىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأىٰ رجلًا.. هذا سند عظيم.

ما فرق هؤلاء: أي: ما خوفهم وجزعهم. أي: ما أوجب لهم هذا الخوف والجزع.

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٨٩٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٤٨٥).

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: «الرحمن» أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

ويجدون رقة: أي أنهم إذا سمعوا الآيات المحكمات من القرآن والسنة يجدون رقة وخشوعًا وإذا سمعوا آيات الصفات اشتبهت عليهم وهلكوا عندها بالجزع والإنكار وهذا يدل علىٰ أن هذا الشيء قديم وأنه وجد في زمن من الصحابة فيهلكون عند الآيات والأحاديث التي تشتبه عليهم بإنكارها والشك فيها والريب. فدل علىٰ أن إنكار ما بينه الله لعباده أو الشك فيه هلاك.

والحق الإيمان بما أخبر الله به ورسوله فإن فهمته فالحمد لله وإلا فكله إلىٰ عالمه وقل: الله أعلم بمراده واسأل أهل العلم، وإياك والإنكار والجزع فإنه طريق المنافقين والهالكين. أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة ويرقون له ويعملون به وإذا اشتبهت عليهم الآيات ردوها إلىٰ المحكمات والبينات وفسروها بما اتضح من حكم الله ولا يضربون كتاب الله وسنة رسول الله بعضها ببعض ولا يشكون، ويعلمون أن المتشابه لا يخالف المحكم بل هو من جنس المحكم ويكلون ما جهلوا إلىٰ العالم بالكيفية وهو الله سبحانه. وأما معانيها فمعلومة من طريق اللغة العربية التي خاطب الله بها الناس، ولذا قال مالك حين سئل كيف استوىٰ؟ قال: الاستواء معلوم... والسؤال عنه بدعة. أي: عن الكيفية.

فبين أن معنىٰ الاستواء معلوم والكيفية مجهولة.

فائدة:

من قال أن الجنة والنار تفنيان فهو كافر فقد قال الله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨] ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨].

أما القول بفناء النار فقول باطل غلط، والصواب عدم الفناء وهو ما عليه أهل السنة والجماعة.

فائدة:

أجمع المسلمون علىٰ أن الأرض ساكنة والشمس تجري... والذين يقولون بدوران الأرض حول الشمس يسعون إلىٰ القول بأن الشمس ساكنة وهذا كفر ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨].

٤١- باب قول الله تعالى

❁ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣]

❁ **قال مجاهد ما معناه:** هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

❁ **وقال عون بن عبد الله:** يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

❁ **وقال ابن قتيبة:** يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

❁ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٣].

أراد المؤلف الحث على الاعتراف بنعم الله وشكره سبحانه على ذلك لأن كثيرًا من الناس قد يشغل عن هذا فيتمتع بنعم الله ولكنه لا يشكره بل ينسبه إلى أسبابه وقوته وأعماله ونحو ذلك ويغفل عن المنعم سبحانه، ولو شاء الله لسلبه الأسباب وسلبه القوة فهو الذي أعطاه السمع والبصر والذكاء والحذق وغير ذلك.

وهذا من خلق الكافرين، أن يقول مثلًا: هذا مالي ورثته من آبائي وما أشبه ذلك.

ثم ينكرونها: أي: يتمتعون بها ويعرفونها ثم ينسبونها إلى آلهتهم وأوثانهم من باب النكران بالنعم.

❁ **قال مجاهد:** هو قول الرجل: ورثته عن آبائي.

أي: يقول ذلك تبجحًا وتعظمًا بهذا الشيء من غير أن يعترف بنعم الله ويغفل عن ذلك، وليس المراد أن يقولها بقصد الإخبار لأنه لا بأس أن يخبر بهذا على أنه سبب، بل أن يقول ذلك غافلًا ناسيًا المنعم الحقيقي.

❁ **وقال عون بن عبد الله:** يقولون لولا فلان لم يكن كذا.

وهذا خطأ أيضًا لأنه ينبغي أن يقول لولا الله ثم كذا فينسب النعم إلى الله لأنه هو المسدي والمعطي سبحانه وتعالى.

❁ **قال ابن قتيبة:** يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا فينسبونها إلى آلهتهم.

وهذا كذلك من قول الكافرين، والواجب على المسلم أن يخالفهم وينسب النعم إلى الله لأنه هو المسبب تلك الأسباب وعليه أن يقوم بالشكر والعمل بأوامره.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

❁ **وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «إن الله تعالىٰ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..»** الحديث، وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره، ويشرك به.

❁ **قال بعض السلف:** هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ علىٰ ألسنة كثير.

❁ **قال أبو العباس:** هذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف أنعامه...

يضيف أنعامه إلىٰ غيره ويشرك به أي: تبجحًا بذلك واعترافًا وافتخارًا بذلك علىٰ غيره.

❁ **قال بعض السلف:** هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا.

أي: إذا سارت السفينة ووصلت سالمة قالوا هذا، ونسوا المنعم الذي يسر الريح وعلم الملاح حتىٰ صارت حاذقًا، والواجب أن ينسبها إلىٰ الله تعالىٰ مع معرفة الأسباب كأن يقول: إن الله يسر لنا ريحًا طيبة فهذا لا بأس به.

وهذا القول من دقة السلف وعنايتهم وحرصهم علىٰ شكر الله والاعتراف له سبحانه وتعالىٰ.



٤٢- باب قول الله تعالى

❁ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

❁ **قال ابن عباس في الآية**: الأنداد: هو الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم.

❁ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

أراد المؤلف بهذا الباب تحذير الناس من اتخاذ الأنداد، وهو جمع ند، وهو المثل والنظير، وسمىٰ الله من اتخذ إلهًا: أندادًا لأنهم عبدوه مع الله كالقبور والأشجار والكواكب وغيرها كلها تسمىٰ: أندادًا إذا دعاه أو استغاث به أو طلب منه شيئًا أو اعتقد نفعه أو ضره.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] أي: تعلمون أنه الخلاق الرزاق وهو الإله الحق سبحانه وتعالىٰ، وقال ذمًّا لبعض الناس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] والمقصود من كل هذا الدعوة إلىٰ الإخلاص لله وحده لأنه المعبود الحق والإله الحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

❁ **قال ابن عباس في الآية**: الأنداد هو الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء..

فسر ابن عباس كل ما ذكر بأنه شرك، ومراده أنه داخل في الشرك الأصغر؛ لأن الشرك الأصغر يدخل في اتخاذ الأنداد. والأعظم من ذلك دعوة الأصنام والأحجار فإنه شرك أكبر.

وهنا التنبيه علىٰ الشرك الخفي - الشرك الأصغر - لأنه يوصل إلىٰ الشرك الأكبر فذكره ليحذر الناس من هذا وهذا ولما قيل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ قل ما شاء الله وحده**»[1].

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، وصححه العلامة الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة (١٣٩).

۞ **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(١)] رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

فجعل قوله ما شاء الله وشئت.. اتخاذًا للأنداد فوجب الحذر من مثل هذه الكلمات وغيرها. لأن الواو تقتضي المشاركة والمساواة ويلحق بهذا: لولا البط في الدار، وكذلك الكلب معهما ينبهان أهل البيت علىٰ الغريب وهذا خطأ بل يقول: لولا الله ثم البط لأن السبب الوحيد هو الله وهذه أسباب فلا ينبغي أن توكل إليها الأمور بل لله وحده.

فلذلك لا تذكر وحدها ولا بالتشريك مع الله بل تؤخر بـ«ثم».

وكذلك قولهم: لولا فلان لغرق فلان فهذا خطأ بل يقول: ثم فلان.

۞ **وعن عمر مرفوعًا: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».**

الصواب هنا عن ابن عمر... والشك يحتمل أنه من ابن عمر أو أحد الرواة.

والمعنىٰ واحد لأن الحلف بغير الله تعظيم له وأنه صالح لهذا الحلف، وهذا لا يليق إلا بالله فهذا الذي يعظم لأنه عالم السر وأخفىٰ وعالم ما في القلوب.

وكانت العرب تحلف بآبائها والمعظمين، وكان هذا موجودًا في أول الإسلام ثم نهىٰ النبي ﷺ عنه وحذر منه وقال: «**ولا تحلفوا بآبائكم ولا أمهاتكم ولا الأنداد**»[(٢)] وقال «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[(٣)] وروىٰ الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر نفسه عن النبي ﷺ: «**من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**» هذه رواية عمر.

وهذا من الشرك الأصغر وقد يكون من الأكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به له شأن ويتصرف في الكون ويستحق أن يعبد من دون الله. وإلا فهو من الأصغر، ولهذا ورد أنهم في أول الإسلام يحلفون بآبائهم ثم نهوا عنه إجلالًا للتوحيد وتعظيمًا لجناب الله وسدًّا للذرائع الموصلة إلىٰ الشرك.

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٦٠٧٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (٢٥٦١).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٤٩).

(٣) رواه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦).

❁ **وقال ابن مسعود:** لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا.

❁ وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[١] رواه أبو داود بسند صحيح.

❁ وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

❁ **قال ابن مسعود:** لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا.

لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله كاذبًا معصية، والشرك أعظم من الكذب وجنس الشرك أخطر من جنس المعاصي، والكذب لا يجوز ومحرم.

❁ **عن حذيفة مرفوعًا: «لا تقولوا ما شاء الله وما شاء فلان ولكن قولوا..».**

لأن الواو تقتضي المساواة والتشريك فلا تجوز بخلاف «ثم» فإنها للتراخي فهي جائزة، والكمال أن يقول: لولا الله وحده.

❁ **وجاء عن إبراهيم النخعي:** أنه يكره أن يقال: أعوذ بالله وبك...

فلا يجوز: أعوذ بفلان، ولا بالله وبفلان، بل يقول: أعوذ بالله، ثم، وهذا من كمال التوحيد، والواجب على المسلم أن يحرص على كمال توحيده وإيمانه وأن يبتعد عن الشرك دقيقه وجليله، وأن يبتعد عن المعاصي فإنها تنقص التوحيد والإيمان واليقين.

فائدة:

حديث «**أفلح وأبيه**»[٢] هذا قبل النهي في أول الإسلام.

- لا يجوز أن يقول لولا الله ثم النبي لما اهتدينا.
- **حديث: «لا يخاف إلا الله والذئب»**[٣] ليس من هذا الباب بل هو جائز.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد (٢٣٣١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٦٩٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٧).

(٢) رواه مسلم (١١).

(٣) رواه البخاري (٣٨٥٢، ٦٩٤٣).

- **إذا قال:** بذمتك أسألك. أو بالأمانة: إن قصد به الحلف لم يجز وإلا فلا، وجاز.

- **يجوز أن يقول:** أعوذ بالله منك لأن النبي قال: «**لقد عذت بعظيم**»[١] ثم تركها.

- **إذا قال رجل لمن أحسن إليه:** أنت المنقذ العظيم فهذا بحسب نيته، والأفضل أن يقول: لولا الله ثم أنت لأن قوله أنت المنقذ العظيم، قد توحي بشيء.



(١) رواه البخاري (٥٢٥٤).

٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

❁ عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله**»[١]، رواه ابن ماجه بسند حسن.

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان وجوب القنع باليمين وإن كان في نفسه شيء من صدق الحالف أو علم كذبه أو تهمته بذلك ومع ذلك فعليه أن يقنع بالحكم الشرعي ويرضىٰ به لأنه ليس للناس إلا ما ظهر وكذلك ليس للقاضي إلا ما ظهر بشهادة العدول أو يمين الخصم عند عدم البينة.

❁ **عن ابن عمر مرفوعًا: «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن....»**.

«**لا تحلفوا بآبائكم**»: نهىٰ عن الحلف بالآباء والأمهات وغيرهم وكانوا يحلفون بهم في أول الإسلام وفي أول الهجرة إلىٰ المدينة ثم نهىٰ عنه.

«**من حلف بالله فليصدق**»: أي: يجب علىٰ من حلف بالله أن يصدق ويتحرىٰ الصدق ويحذر الكذب ولهذا قال النبي ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين وهو كاذب لقي الله تعالىٰ وهو عليه غضبان**»[٢] فيجب الحذر من الحلف بالله كاذبًا خاصة في الخصومات، واقتطاع حق المسلم باليمين الكاذبة ولهذا ورد في الحديث الآخر «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة**» قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا. قال: «**وإن كان قدر النواة**»[٣] رواه مسلم فالواجب الحذر من ذلك وألا يأخذ حق أخيه المسلم إلا ببينة شرعية ووجه شرعي، وإذا طلب اليمين فليحذر الكذب.

«**من حلف له بالله فليرض**»: هذا هو الشاهد أي ليرض وليقنع وليس له إلا هذا؛ لأنه هو الذي فرط ولم يشهد ولم يكتب ولم يجعل بينة فعليه أن يلوم نفسه، وليس له إلا الحكم الشرعي باليمين لتفريطه وسوف يعطيه الله حقه يوم القيامة.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي في الكبرىٰ (٢٠٥١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٧٠٨).

(٢) رواه بنحوه البخاري (٢٣٥٧) ومواضع، ومسلم (١٣٨).

(٣) رواه مسلم (١٣٧)، وفيه: «**وإن قضيبًا من أراك**». بدلًا من: «**وإن كان قدر نواة**».

....

«**ومن لم يرض فليس من الله**»: وعيد شديد علىٰ من لم يرض بحكم الله ولم يطمئن إليه.

فائدة:

كفارة من حلف كاذبًا أن يتوب ويرد الحق لأصحابه.



٤٤- باب قول: ما شاء الله وشئت

❁ **عن قتيلة:** أن يهوديًا أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت[1]. رواه النسائي وصححه.

❁ **وله أيضًا عن ابن عباس** رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: **«أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده»**[2].

أراد المؤلف بيان حكم قول: ما شاء الله وشاء فلان. وما أشبه ذلك وأنه يجب أن يقول: ثم فلان وهذا هو مقتضىٰ التوحيد والإخلاص، وفيه كمال التوحيد والبعد عن الشرك دقيقه وجليله. فحكم هذا أنه لا يجوز فقول المؤلف: باب كذا.. أي: حكم كذا.

فالأكمل: ما شاء الله وحده. وما شاء الله ثم شاء فلان وهذا جائز. وما شاء الله وشاء فلان لا يجوز وهو من الشرك الأصغر ومنقص للتوحيد وهكذا أمثاله.

❁ **عن قتيلة:** «أن يهوديًا أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تشكرون، تقولون...

فيه أن الناس من أهل الباطل قد يفهمون أشياء ومسائل إذا كان عندهم هوىٰ وإن كانوا هم واقعون في ذنب وفسق وكفر أعظم من ذلك: ولهذا عاب اليهود علىٰ المسلمين – لما في قلوبهم من الغيظ والحقد علىٰ الرسول ﷺ – وقد أصابوا في قولهم، ولهذا أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت، وأن يقولوا: ورب الكعبة.

❁ وله أيضًا عن ابن عباس أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت..

«أجعلتني لله ندًا»، وفي لفظ: **«أجعلتني لله عدلًا»**.

---

(١) رواه النسائي في سننه (٣٧٧٣)، والطبراني في الكبير (٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٣٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٨٣٧٩)، وذكره العلامة الألباني رحمه الله في تحذير الساجد مستشهدًا به (١/ ٩٠).

۞ ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارىٰ فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: **«هل أخبرت بها أحدًا؟»** قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: **«أما بعد فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»**[1].

۞ **لابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال:** رأيت كأني أتيت...... إنكم لأنتم القوم لولا... أي: أنكم تستحقون المدح لولا قولكم كذا.

قوله: «وكان يمنعني كذا وكذا – في رواية: وكان يمنعني الحياء – أن أنهاكم عنها». أي: لأنه لم يأت فيها من الله نهي فلما جاءت الرؤيا كانت سببًا للمنع ونزل الوحي بمنعها وأن يقولوا ما شاء الله وحده.

وقد ورد فيما أخرجه الشيخان في قصة الأعمىٰ والأبرص والأقرع قوله: **«فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك»**[2] وهذا هو الجواب.

وهذا القول: ما شاء الله وفلان من الشرك الأصغر وقد يكون من الأكبر إذا أراد أن له أشياء مستقلة يتصرف فها.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٢٠٧١٣)، وابن حبان (٥٧٢٥)، والحاكم في المستدرك (٥٩٤٥)، والطبراني في الكبير (٨٢١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٧٢١).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

٤٥- باب من سب الدهر فقد آذى الله

❁ وقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية.

❁ في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»**[١] وفي رواية: **«لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»**[٢].

❁ أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان أن سب الدهر وغيره من المعاصي من جملة الأشياء التي تناقض التوحيد وتضعفه، وتنافي كماله فالواجب الحذر من الأسباب التي تضعف الإيمان من المعاصي وسب الدهر وسب الريح وسب ما لا يستحق السب وما يغضب الله.

لأن الدهر مخلوق مدبر ليس في يده تصرف، فهو مدبر من الله تعالىٰ وهو الليل والنهار فسبه إيذاء لله، والله لا يضره شيء ولكن المعاصي تؤذي الله لأنها تغضبه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وسب الدهر هو سب الزمان، وهو الليل والنهار، كأن يقول: قاتل الله هذه الساعة ولعن الله هذه الساعة وهذا اليوم، ولا بارك الله في هذا اليوم، وما أشبه ذلك فسب الدهر هو شتمه أو لعنه أو الدعاء عليه، أما وصفه بالشدة فليس من السب كأن يقول: هذا يوم شديد وعسر ونحس أو بارد أو حار.

❁ **وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: «قال الله تعالىٰ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر..».**

فبين هنا معنىٰ الدهر وأنه الليل والنهار وهو الذي يقلبه فسبه سب للذي خلقه وقلبه فلا يجوز ذلك، وقد غلط من قال أن الدهر من أسماء الله - كابن حزم - والمقصود أنه خالق الدهر ومكون الكائنات في الدهر.

ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الريح»[٣] وهكذا سب الإبل والغنم والبقر وسب كل من لا يستحق السب، فسب هذه نقص في إيمانه وتوحيده.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) رواه مسلم (٢٢٤٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وابن ماجه (٣٧٢٧)، وأحمد (٧٤٠٧)، والحاكم في المستدرك (٣٠٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٣٠٠٣).

٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

❁ في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمىٰ ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»[1]، قال سفيان: مثل شاهان شاه، وفي رواية: «**أغيظ رجل علىٰ الله يوم القيامة وأخبثه**»[2]، قوله: «**أخنع**» يعني: أوضع.

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان النهي عن الأسماء التي يكون لها تعلق بمشابهة أسماء الله تعالىٰ لأنه سبحانه له أسماء يختص بها ليس لأحد أن يتسمىٰ بها مثل الرحمن ومالك الملك والخلاق ورب العالمين وحاكم الحكام وسلطان السلاطين ونحوها لأن من كمال التوحيد وتمام التوحيد عدم التسمي بهذه الأسماء والتسمي بها ينقص التوحيد والإيمان، ودخول فيما لا ينبغي.

وكذلك قاضي القضاة، وهذا يقع في بعض الدول وإن كانوا يريدون به قاضي قضاة البلد لكن إطلاقه غير مناسب ولا ينبغي.

أما إذا قيد: قاضي قضاة مصر أو مكة وغير ذلك فهذا أسهل، وتركه أولىٰ كأن يسمىٰ: رئيس القضاة أو أمين القضاة مما يبتعد به عن هذه الصفات المطلقة.

❁ **وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن أخنع اسم عند الله: رجل...»**

«**أخنع**»: أوضع وأذل وأردأ اسم.

فأنكر النبي ﷺ هذا الاسم لأنه يوهم وصفًا لا يليق به، ولا يليق إلا بالله تعالىٰ فليس الإنسان ملك الأملاك بل هو ليس أهلًا له، وعليه أن يتسمىٰ بالأسماء الأخرىٰ التي تليق به.

شاه شاه: اسم عند العجم معناه ملك الملوك.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣).

٤٧- باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

❁ **عن أبي شريح**: أنه كان يكنىٰ أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: «**ما أحسن هذا فما لك من الولد؟**»، قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «**فمن أكبرهم؟**» قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**»[1]، رواه أبو داود وغيره.

أراد المؤلف بيان وجوب احترام أسماء الله والحذر من امتهانها أو احتقارها أو تسمية غير الله بها من الأسماء التي اختص الله بها، ولهذا شرع تغيير الاسم لأجل احترامها وتعظيمها.

والأسماء قسمان:

١- **أسماء لا يسمىٰ بها سوىٰ الله سبحانه**: كالرحمن والخالق ورب العالمين وغيره.

٢- أسماء يسمىٰ بها غيره سبحانه فيكون لله ما يليق به وللعبد ما يليق به والمراد بها هنا الأول.

❁ عن أبي شريح، أنه كان يكنىٰ أبا الحكم، فقال له النبي: «**إن الله هو الحكم...**»

قوله: ما أحسن هذا: أي: ما أحسن هذا العمل الذي هو الإصلاح بينهم والتوسط ليرضوا وتزول الخصومات وهذا شيء مطلوب وخير.

فوائد الحديث:

ينبغي احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك ولهذا غير كنيته من أبي الحكم إلىٰ أبي شريح، وفيه أن الأفضل أن يكنىٰ الإنسان بأكبر أولاده.

وفيه شرعية الإصلاح بين الناس وأنه شيء مطلوب وأنه ينبغي لكبراء الناس أن يتوسطوا بين قومهم في حل الخصومات حتىٰ لا تبقىٰ الشحناء والعداوة.

والإصلاح بينهم أفضل من الحكم، لأن الحكم يحصل به حزازات، لكن إذا اصطلحوا عن طيب نفس كان أفضل لزوال ما في النفوس وتحل المحبة والمودة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وابن حبان (٥٠٤)، وقال العلامة الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (٤٧٦٦): إسناده جيد.

....

قوله: رواه أبو داود: ظاهر كلام المؤلف أنه يرىٰ أن الحديث صالح للحجة ولهذا اعتمده واكتفىٰ به. واستدل به أنه لا يسمىٰ: بالحكم وأبي الحكم، لأن هذا وصف لله تعالىٰ وهو الحاكم بين عباده وله الحكم في الدنيا بشرعه، وفي الآخرة يحكم بنفسه.

ولكن يرد علىٰ هذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة من أسماء كالحكم والحكيم ولم يغيرها النبي ﷺ وهي أصح من هذه الرواية. وهذا مما يدل علىٰ أن الحديث في صحته نظر لأن النبي ﷺ قد أقر بعض الأسماء كحكيم بن حزام والحكم بن عمرو الغفاري وأسماء أخرىٰ ولم يغيرها، ولو كانت منكرة لغيرها. ولأن الحكم يكون بالشرع بين الناس ولا يضره أن يتسمىٰ بذلك، وأن يسمىٰ القاضي والحاكم وما أشبه ذلك.



٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

❁ **وقول الله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

❁ عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة -دخل حديث بعضهم في بعض-: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء -يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء- فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق.

❁ هذا الباب لبيان حكم المستهزئين بالله وبالقرآن وبالرسول ﷺ وأن حكمهم أنهم مرتدون إذا كانوا مسلمين، وإن الاستهزاء ردة وكفر. فجواب الشرط: فقد كفر وهو معلوم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

❁ عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء...

أراغب بطونًا: أي: أكثر أكلًا.

أجبن عند اللقاء: أي: ليسوا بشجعان.

قال عوف بن مالك: كذبت. هذا فيه إنكار المنكر ممن سمعه وأن عليه منعه لا سيما في مثل هذا المنكر العظيم الذي فيه سب لله ورسوله ودينه.

فوجد القرآن سبقه: أي: نزلت فيهم وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ...﴾ فهذا يبين أن المستهزئ بالقرآن أو السنة أو الرسول ﷺ فهو كافر، ولو زعم أنه يقضي بها الوقت أو يتحدث حديث الركب ويقطع الطريق أو أنه غير متعمد لذلك فهو كافر، لأن التلاعب بهذا لا يجوز لا في الطريق ولا في غيره، ولأنه يدل علىٰ نفاق في قلبه وخبث وحقد علىٰ أهله، والمسلم لا يستطيع أن يقول مثل هذا الذي قاله الرجل وخاصة قوله:

فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه – وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب – فيقول له رسول الله ﷺ: «**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون**» ما يتلفت إليه وما يزيده عليه[1].

أكذب ألسنًا: فهذا تكذيب للرسول ﷺ وأصحابه. وفيه رمي لهم بالجبن وأنهم حريصون علىٰ الأكل، وهذا يدل علىٰ الحرص علىٰ الدنيا.

فجاء الرجل يعتذر فلم يكن النبي ﷺ يبالي بما يقول ولا يرد عليه إلا بقوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ..﴾.. أي: أنه لم يقبل عذره وبين له أنه كافر بهذا العمل.

فهذا يبين أن المستهزئ بالشرع كافر بعد الإيمان إذا تنقص الرسول أو قال أنه جبان أو كذاب أو لم يبلغ الرسالة وما أشبه ذلك مما يدل علىٰ التنقص، وهكذا من قال أن القرآن متناقض أو أنه لم يستوف ما يحتاجه النَّاس أو الشريعة لم تستوف ما يحتاجه الناس وما أشبه ذلك مما هو علىٰ سبيل الذم والنقص.

أما إذا قال: أن القرآن قد جاءت السنة ببيان أشياء ليست فيه فهذا حق، لكن إن قاله قاصدًا الذم وأن الناس بحاجة إلىٰ القوانين وأن النصوص لا تكفي فهذا كفر أكبر وردة، وكذا من قال أن الجنة خيال ليست حقيقة.

----

(١) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره، وكذا ابن كثير في تفسيره، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن عمر.

٤٩- باب ما جاء في قول الله تعالى

❁ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠] الآية.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] قال قتادة: علىٰ علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: علىٰ علم من الله أني له أهل. وهذا معنىٰ قول مجاهد: أوتيته علىٰ شرف.

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمىٰ**،...

❁ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

هذا الباب عقده المؤلف لبيان ما غلب علىٰ النفوس من إنكارها النعم وجحدها وكفرانها وعدم الاعتراف بها لمعطيها سبحانه وتعالىٰ.

وفي الآية: أن هذا القول طبيعة من طبيعة بني آدم إلا من عصمه الله، من إنكارهم النعم ونسبتها لنفسه وعدم الاعتراف بها لخالقها عز وجل فمن شأنه الكفر بالنعم وأن يقول هذا عملي ومن أسبابي وغير ذلك.

والمقصود من هذا: الحث علىٰ شكر النعم وإسنادها لله وإن كان له أسباب لكن كله بفضل الله، هو الذي أنبت له النبات ويسر له التجارة والربح. ولا مانع من أن يسنده إلىٰ سبب من الأسباب لكن يبين أولًا أنها من الله ويشكر، ثم لا مانع من ذكر الأسباب لكن إن نسبها إلىٰ أسبابه ونسي المنعم فهذا منكر.

❁ **عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمىٰ....»** هذا الحديث فيه فوائد عظيمة قصها النبي ﷺ للعظة ولئلا نقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من الأخطاء.

فهؤلاء الثلاثة ابتلاهم الله بالضراء أولًا ثم بالسراء فكفر اثنان بنعمة الله وشكر واحد وهذا شاهد لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ⑬﴾ [سبأ: ١٣] وفيه الحث علىٰ شكر النعم والاعتراف بها لله.

والأدب في السؤال حيث، قال: «**لا بلاغ إلا بالله ثم بك**».

.... فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتىٰ الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتىٰ الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها. فأتىٰ الأعمىٰ، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتىٰ الأبرص في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلىٰ ما كنت. قال: وأتىٰ الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلىٰ ما كنت. وأتىٰ الأعمىٰ في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: كنت أعمىٰ فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط علىٰ صاحبيك» أخرجاه[1].

وفيه بيان قدرة الله وأنه يقول للشيء كن فيكون.

وعلىٰ المؤمن أن يكون علىٰ حذر من عقوبة الله ومداومة الشكر له سبحانه.



---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

٥٠- باب قول الله تعالى

❁ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

❁ **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **في الآية قال:** لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما - سَّمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ [الأعراف: ١٩٠] [(١)] رواه ابن أبي حاتم.

❁ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية.

أراد المؤلف بيان تحريم التعبيد لغير الله، وأنه لا يجوز أن يعبد أحد لغير الله فلا يقال: عبد النبي أو الكعبة أو عبد الحسين وما أشبه ذلك بل يكون التعبيد لله وحده كعبد الرحمن وعبد الله .. إلخ؛ لأن الله ذم من فعل ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾.. وهذا ذم وعيب لمن فعله.

وهذا السياق في ذكر آدم وحواء حيث أطاعا الشيطان في تسميته عبد الحارث وقال آخرون: إن المراد بالآية: جنس من بني إسرائيل وأن هذا وقع في بني إسرائيل ولكن ظاهر السياق يأبى هذا بل هو كما قال ابن عباس، وغيره من السلف وإن المعصية قد وقعت منهما والمعصية قد تقع من الأنبياء إذا كانت صغيرة كما قال العلماء.

ويحتمل أنهما حين فعلا ذلك كانا يعتقدان ذلك جائزًا فلهذا فعلاه ولم يعلما أنه منكر وإنما كرهاه أولًا ثم خضعا لوسوسته وما أراد.

---

(١) روى أحمد نحوه في مسنده (٢٠١٢٩)، عن سمرة مرفوعًا: لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسموه عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. وكذا روى لفظ أحمد هذا الترمذي في سننه (٣٠٧٧)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

۞ وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

۞ وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن(١) وسعيد وغيرهما.

....

(١) قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله في شرحه لكتاب التوحيد المعروف بـ«القول المفيد شرح كتاب التوحيد»:

قوله: (وذكر معناه عن الحسن). لكن الصحيح أن الحسن رحمه الله قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء، وإن المراد بها المشركون من بني آدم كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في (تفسيره) وقال: (أما نحن، فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته) اهـ.

وهذه القصة باطلة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ، وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء، لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا: ماتا عليه، كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة:

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله ... وتزويجه بنتيه بابنيه بالخنا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر ... وأن جميع الناس من عنصر الزنا

فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كانا تابا من الشرك، فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا، ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك.

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

الوجه الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك، لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

الوجه الخامس: أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة)، فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما، فلا يقبلان منه صرفًا ولا عدلًا.

الوجه السادس: أن في قوله في هذه القصة: (لأجعلن له قرني أيل): إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه، فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، أو لا يصدقا، فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء، لقال: (عما يشركان) فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا، فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذي أشركوا شركًا حقيقيًا، فإن منهم مشركًا ومنهم موحدًا.

....

وبين الله فيما أنزله علىٰ رسوله ﷺ أنه لا يجوز.

وهذا الحكم يناط بشريعة محمد ﷺ فهي الشريعة العامة، وما كان قبلنا ففيه إباحة لبعض المسائل ومنع لبعضها.

حاشا عبد المطلب: فمستثنىٰ من النهي لأن الرسول ﷺ أقر ذلك ولم يغيره ومن الصحابة: عبد المطلب بن ربيعة لأن الأصل فيه أنه تعبيد بالعتق والرق وسموه عبد المطلب – واسمه شيبة بن هاشم – لأنهم ظنوه عبدًا للمطلب بسبب تغير وجهه من السفر والمطلب عمه. فأقر هذا الاسم في الإسلام بخلاف غيره من الأسماء.

شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته: لأنهم أطاعوه في هذا الاسم عن غير علم، وكل هذا من باب كمال التوحيد وكمال الخضوع لله وسد وسائل الشرك.

مسألة: قول الرسول ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**» هذا إخبار عن اسم ماضي فلا يضر لأنه مشتهر به مثل عبد مناف وعبد عمرو إذا كانت من باب الإخبار.



٥١- باب قول الله تعالى

❁ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزىٰ من العزيز.

❁ **وعن الأعمش**: يدخلون فيها ما ليس منها.

❁ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].. الآية.

بين الله تعالىٰ أن له سبحانه الأسماء الحسنىٰ التي لا يعتريها نقص بل هي كمال كلها تدل علىٰ معان عظيمة يوصف بها علىٰ الوجه اللائق به فيدعىٰ بها فيقال: يا رحمن.. يا عزيز، يا غفور اغفر لنا.. وهكذا.

والإلحاد في أسمائه: الميل عن الحق والإشراك فيها مع الله، كمن جعل لغير الله شيئًا من العبادة فقد أشرك فيها مع الله غيره وجعلها إلهًا، وصار كافرًا بذلك.

وهكذا من ألحد فيها بأن أمالها عن الحق وزعم أنه لا معنىٰ لها كالجهمية والمعتزلة الذين نفوا الصفات أو الأسماء والصفات جميعًا فقد ألحدوا أي: مالوا عن الحق.

ومنه اللحد في القبر، أي: جعله مائل من جانب.

والإلحاد قسمان:

إلحاد أكبر: وهو ما يقع من الكفرة.

إلحاد ناقص: وهو ما يقع من بعض المسلمين في عدم انقيادهم للحق علىٰ التمام والكمال فيكون لهم نوع إلحاد وميل عن الحق فيفوتهم من الإيمان والإسلام بقدر ذلك.

❁ **قال الأعمش**: يدخلون فيها ما ليس منها. هذا نوع من الإلحاد: أن يسمىٰ الله بأسماء ما أنزل بها من سلطان فهي نوع من الإلحاد أي: نوع من الباطل.

وكذلك قول بعضهم في اللات من الإله والعزىٰ من العزيز، فهذا نوع إلحاد.

وكذلك الوقوع في المعاصي نوع من الإلحاد لكنه أصغر.

ومن جحد الله أو أشرك معه فهو إلحاد أكبر.

٥٢- باب لا يقال: السلام على الله

❁ **في الصحيح عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال**: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام علىٰ الله من عباده، السلام علىٰ فلان، فقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا السلام علىٰ الله، فإن الله هو السلام**»[(١)].

❁ قوله: «**لا تقولوا السلام علىٰ الله فإن الله هو السلام**».

السلام له معنيان:

١- **أي**: هو السالم من كل نقص وعيب فله الكمال المطلق من جميع الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢- المسلِّم لعباده، أي: الذي يعطي السلام، فلا يقال السلام علىٰ الله: لأن هذا دعاء والله غني عن أحد، وليس بحاجة إلىٰ دعاء الناس، وإنما المشروع هو تعظيمه وتقديسه والإيمان بأنه موصوف بصفات الكمال وأنه المحسن والضار.

ويقال للمخلوق: السلام عليه لأنه محتاج إلىٰ العافية والدعاء.

مسألة: لو قال: لولا الرسول ما اهتدينا وأراد دعوة الرسول لا بأس، والأفضل أن يقول: لولا الله ثم دعوة الرسول.



---

(١) رواه البخاري (٨٣٥) ومواضع، ومسلم (٤٠٢).

٥٣- باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

❁ في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له**»[١].

❁ ولمسلم: «**وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[٢].

أراد المؤلف بهذا أن يبين أنه من كمال الإيمان وكمال التوحيد: العزم على المسألة وعدم التردد وأن المؤمن إذا دعا ربه فليعزم ولا يتردد فإن جود الله عظيم وهو الغني الحميد، فلا يليق بالمؤمن أن يستثني في سؤاله، وإنما يستثني في سؤال المخلوق لأنه قد يعجز أو يمتنع، أما الرب فهو الغني القادر.

❁ **في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني..»**.

فلا يليق بالعبد أن يسأله بالاستثناء لأنه كأنه يكون غير مضطر ولا محتاج إلى هذا السؤال. والواجب العزم فإن الله لا مكره له وليس بعاجز.

❁ **ولمسلم: «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»**.

بل هو الله تعالى العظيم الشأن الغني الحميد وكل شيء يعطيه عباده فهي عنده قليلة يسيرة وإن أعطاهم شيئًا عظيمًا سبحانه وتعالى.

فعلى المؤمن أن يكون شديد الرغبة فيما عند الله، شديد التعلق بالله، شديد اللجوء إليه والانكسار، وأن يسأله سؤال الراغب المضطر ولا يستثني، وكذلك إذا دعا لإخوانه لا يقول: غفر الله لك إن شاء، أو رحمك إن شاء الله. بل يجزم ولا يقول إن شاء الله ولو تبركًا فلا يستثني أبدًا.

ولا يقول: اللهم اغفر لي ما شئت.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩).

....

فائدة:

- الدبلة ليس لها أصل وهي من أعمال النصارىٰ.

- الأحاديث الواردة في سورة الكهف كلها ضعيفة ولكن يشد بعضها بعضًا وقد صح موقوفًا وهذا مما يقوي المرفوع.

- **لا يجوز أن يقول:** يا رسول الله لو رأيت حال الأمة لأشفقت عليها ولدعوت لها.. إلخ.

لأنه ﷺ لا يسمع ولا يرىٰ ما نقول له، كما في الحديث: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[١].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٥) ومواضع، ومسلم (٢٤٧) ومواضع.

٥٤- باب لا يقول: عبدي وأمتي

❁ في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي**»(١).

هذا الباب مما ينافي كمال التوحيد، أي: عندما يخاطب الرجل غلامه أو جاريته فلا يقول: عبدي وأمتي تأدبًا مع الله تعالىٰ، بل يقول: فتاي وفتاتي وغلامي وخادمي ونحو ذلك لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله، فهذا من باب الكمال والتأدب مع الله عز وجل والاعتراف له سبحانه بأنه المالك لكل شيء والمتصرف في كل شيء.

أما إذا قيل: عبد فلان أو إماء فلان فهذا من باب الإخبار وهو أسهل وليس من باب الإضافة إلىٰ النفس.

«**لا يقل أحدكم أطعم ربك**»: هذا من باب التأدب أيضًا لأن رب الجميع هو الله، والله تعالىٰ لا يطعم فهو الغني فلا يقال ذلك بإطلاق.

«**بل يقول سيدي ومولاي**» وعمي: لأن هذه عبارات معروفة لا تشتبه بالربوبية والسيد هو المالك، والرئيس هو مالك لهذا الغلام.

وهكذا المولىٰ له معان كثيرة فهو المالك والقريب والناصر.

وفي رواية: «**لا يقل: مولاي فإن مولاكم الله**»: ولكن المحفوظ عند العلماء رواية الإذن بهذا لأن كلمة المولىٰ مشتركة وقد قال تعالىٰ:  ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] أي: لا ناصر لهم، بل هم مخذولون بالنسبة للناصر لدين الله، فلا حرج أن يقول: مولاي وسيدي، واصطلح الناس الآن بكلمة عمي، أي: لمن ملك وغير ذلك مما اصطلحوا عليه بدلا من «الرب».

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

٥٥- باب لا يرد من سأل بالله

❁ **عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:** قال رسول الله ﷺ: **«من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه»**..

ذكر المؤلف هذا الباب لما فيه من تعظيم الله وإجلاله في إعطاء من سأله وحديث ابن عمر من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ.

❁ **عن ابن عمر مرفوعًا: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه».**

«من سأل بالله فأعطوه»: تعظيمًا لله وإجلالًا له وقد جاءت عدة أحاديث تدل على كراهة السؤال بالله لما فيه من التشديد على الناس ولكن من سأل حقًّا كالزكاة أو من بيت المال وجب أن يعطى، أما غير ذلك فالأفضل أن يعطى ولا ينبغي أن يسأل بالله عملًا بالأحاديث الدالة على كراهة ذلك.

«ومن استعاذ بالله فأعيذوه»: فمن استعاذ بالله شرع أن يعاذ ولهذا لما استعاذت عمرة بنت الجون من الرسول ﷺ قال لها: **«لقد عذت بمعاذ»** أي: بعظيم **«فالحقي بأهلك»**[١] فمن استعاذ بالله شرع أن يعاذ، إذا لم يكن حقًّا عليه، فإن استعاذ بالله في إسقاط حق عليه فلا يعاذ لأن الله أمر بأداء الحقوق كما إذا قال: أعوذ بالله من أن تلزموني بالصلاة أو الزكاة أو الدين أو الكفارت و نحو ذلك. فإن استعاذ من تولية القضاء مع وجود من يقوم مقامه أو الإمارة ونحو ذلك مما فيها خطر، شرع أعاذته كما يروى عن ابن عمر لما أمره عثمان بالقضاء استعاذ بالله أن يولى القضاء فأعاذه عثمان وهذا – إن صح – فهو محمول على أن هناك من يقوم مقامه وكان الصالحون في عهد عثمان لذلك كثيرون.

«ومن دعاكم فأجيبوه»: لما في إجابة الدعوة من المصالح والتواصل والتآلف والتقارب فلهذا شرعت الإجابة سواء كانت لعرس أو غيره وأهمها العرس، وفي الحديث: **«من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»** مسلم[٢].

----

(١) رواه البخاري (٥٢٥٤).

(٢) رواه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

.... ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ ترون أنكم قد كافأتموه»[(١)] رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فالواجب أن تجاب إلاَّ:

١ – أن يكون له ما يمنعه كأن يكون مريضًا أو بعيدًا أو يشق عليه الإتيان ونحوه.

٢ – **إن كان فيها مانع**: بأن يكون فيها منكر كالملاهي والأغاني والخمر، فإن كانت الدعوة سليمة وجب أن يجيب أو تأكد – علىٰ الأقل لهذا الحديث وغيره – ولا تجب الدعوة إلا إذا خصه بها.

«**ومن صنع معكم معروفًا فكافئوه**»: هذا من مكارم الأخلاق وكمال الإيمان أن يكافأ علىٰ المعروف بما يستطيع، إن كان مالًا فبالمال وإن لم يكن فبالكلام الطيب والدعاء.

«**حتىٰ تروا**»: يروىٰ بفتح التاء أي: حتىٰ تعلموا ويروىٰ بضم التاء أي: حتى تظنوا أنكم كافأتموه. والمعروف يتنوع.

لا ينبغي دعاء صفات الله، فلا يقال: يا وجه الله أو يا علم الله افعل كذا. وإنما يدعى الله بأسمائه وصفاته فيقال: يا رحمن.. فالصفات يتوسل بها ولا تدعىٰ، وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع علىٰ هذا.

ويتوسل بها فيقول: أسألك بعفوك ورحمتك وأعوذ برضاك من سخطك... إلخ.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد (٥٣٦٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٦)، والطبراني في الكبير (١٣٤٦٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (١٤٦٨).

٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

❁ عن جابر رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[١] رواه أبو داود.

هذا فيه: أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

❁ **عن جابر مرفوعًا:** «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه أبو داود.

وذلك لأن الجنة هي أعلىٰ المطالب وفيها النظر إلىٰ وجه الله سبحانه وفيها النعيم المقيم ووجه الله له شرفه العظيم فلا يسأل به إلا الجنة.

وكذلك ما يقرب إليها كأن يسأل الإخلاص والتوفيق للخير والاستقامة علىٰ الطاعة، فما يقرب إلىٰ الجنة هو من طلب الجنة.

وهذا من كمال التوحيد والإيمان ألا يسأل بوجه الله إلا الجنة أو ما يقرب إليها كالعمل الصالح والاستقامة والعافية من مضلات الفتن.

وإسناد الحديث فيه لين وضعف لكنه ينجبر بما جاء في الروايات الأخرىٰ من النهي عن السؤال بوجه الله، فيكون هذا خاصًا بالسؤال بوجه الله الكريم أو ما يقرب إليها وما يدعو إليها.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧١)، والبيهقي في الشعب (٣٥٣٧)، والمتقي الهندي في كنز العمال (١٦٧٣١)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (٣٦٨).

٥٧- باب ما جاء في «اللو»

* **وقول الله تعالىٰ:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

* **وقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨] الآية.

* **في الصحيح عن أبي هريرة:** أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(١)].

أي: في حكم هذه الكلمة، وهل تجوز أو لا تجوز، والمقصود أنه لا ينبغي استعمالها لمعارضة القدر، بل يجب التسليم والصبر وعدم المعارضة للقدر بكلمة لو، عند موت قريب أو مرض أو مصيبة.

* **وقوله تعالىٰ:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

هذا ذم لهم وعيب.

* ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

فدل هذا علىٰ أنه لا يجوز استعمالها عند معارضة القدر في مرض أو هزيمة أو نحو ذلك، وإن هذا من شأن المنافقين، لأن قدر الله ماض وشأنه نافذ وإنما شرع الأسباب لحكمة بالغة. فعلىٰ المسلم أن يتعاطىٰ الأسباب فإذا نزل القضاء فليس له أن يعترض بعد ذلك.

* **وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: «المؤمن القوىٰ خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله..».**

فإذا أصابك شيء فقل: «قَدَر الله وما شاء فعل»، وبعضهم ضبطها: «**قَدَّر الله وما شاء فعل**» أي: قدر هذا الشيء الواقع، والمعنىٰ الأول أظهر أي: أن هذا الواقع هو قدر الله، أي: مقدور الله وما شاء الله فعل.

«**لو تفتح عمل الشيطان**»: أي: تفتح علىٰ العبد عمل الشيطان، أي: وساوسه وتشكيكه، فينبغي للمؤمن أن يتجنبها حتىٰ لا يقع في حبائل الشيطان وإملائه ما لا ينبغي لأن هذه أمور لله هو الذي قدرها.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

....

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلفه خيرًا منها»**(١) فمثلًا إذا عالج مريض عند طبيب ثم مات لا يقولوا: لو ذهبت به إلىٰ طبيب آخر أو الخارج.. إلخ بل يقول: قدر الله وما شاء فعل، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا يعترض بـ«لو».

أما إذا كانت «لو» لبيان ما ينبغي، كقوله ﷺ: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت..»**(٢) فهذا ليس اعتراضًا بل هو لبيان الأفضل، كقولك: لو علمت أن هذا واقع لفعلت كذا وكذا مما يبين للناس أنه الأفضل وكقول: لو علمت فلانًا مريضًا لزرته.

وما أشبه ذلك مما يخبر به عن أسفه علىٰ ما فات وليس علىٰ سبيل الاعتراض فهذا ليس داخلًا في الباب وإنما الممنوع الاعتراض علىٰ القدر.



----

(١) رواه مسلم (٩١٨).

(٢) رواه البخاري (١٦٥١) ومواضع، ومسلم (١٢١٦).

٥٨- باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»[1] صححه الترمذي.

لما كان سب الريح وغيرها من المخلوقات نقصًا في الإيمان وقدحًا في التوحيد نبه المؤلف على ذلك ليعلم المؤمن أن سائر المعاصي تنقص التوحيد وتنقص الإيمان وتضعفه، والإيمان يزيد وينقص، والتوحيد يزيد وينقص، وسب الريح ينقص الإيمان، لأن الريح مخلوق مدبر يرسل بالخير والشر فلا يسب الريح، بل يعمل المؤمن بما أمره به الرسول ﷺ في الحديث:

عن أُبي بن كعب مرفوعًا: «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به».

وجاء في الصحيحين: عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك..»**[2].

وجاء في هذا أيضًا الدعاء: «اللهم لا تجعلها ريحًا، واجعلها رياحًا، واجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابًا»[3] فهذا هو المشروع للمؤمن عند هبوب الريح وأن يجعلها رياحًا لا ريحًا لأن الله أرسل الريح لهلاك قوم هود، أما الرياح فقد جعلها الله مبشرات ورحمة ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وهذا هو كمال التوحيد والإيمان أن يتمثل أمر النبي ﷺ في ذلك، وألا يسب الريح ولا يسب غيرها من المخلوقات التي لم يشرع الله سبها.

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وأحمد (٢١١٧٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٥٦).

(٢) رواه مسلم (٨٩٩)، ورواه البخاري (٤٨٢٩) مختصرًا وليس فيه هذا الدعاء.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١٥٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٥٦)، والهيثمي في المجمع (١٧١٢٦)، وقال العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٤٤٦١): ضعيف جدًا.

٥٩- باب قول الله تعالى

❁ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

❁ وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح: ٦] الآية.

❁ **قال ابن القيم في الآية الأولىٰ:** فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله علىٰ الدين كله.

❁ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح: ٦] الآية.

قال ابن القيم: في الآية الأولىٰ:

المقصود من هذا الباب أن كثيرًا من الناس لا يسلم لحكمة الله، ولا يسلم لله قدره السابق، ولا يسلم له سبحانه ما أراده من تنبيه العباد علىٰ أغلاطهم وأخطائهم حتىٰ يستعدوا وينتبهوا، بل أساءوا الظن بالله من وجوه كثيرة:

١- فمنهم من يظن أن الأشياء التي تقع مما تخالف هواه لم تكن بحكمته ولم تكن بقدر سابق.

٢- ومنهم من يظن أنه بمجرد المشيئة لا عن حكمة تقع.

٣- ومنهم من يظن أن الله جار علىٰ العباد وظلمهم حتىٰ فعل كذا وكذا.

وظلم فلان، وهزم فلان، فلماذا هذا كله؟!.

فهذه ظنون الناس، وهي كثيرة، ولهذا قال الله عز وجل في المنافقين ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وهذا في قصة أحد لما وقعت وجرىٰ للمسلمين ما جرىٰ من الهزيمة والجراح وقتل سبعين. نجم النفاق وتكلم المنافقون بما تكلموا به وظنوا بالله غير الحق وقالوا: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: هل لنا تصرف في شيء،

وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل علىٰ الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

ويقولون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: أننا مجبورون، وليس لنا أمر، ولكن قادنا محمد إلىٰ هذا الأمر حتىٰ وقع ما وقع، وهذا كله من جهلهم وضلالهم ومن قلة بصيرتهم وعمىٰ قلوبهم، ولهذا ظنوا بالله ظن السوء، وظنوا أن ما وقع لم يكن لحكمة بالغة، وظنوا أن الله لا ينصر رسله، وأنه سيضمحل أمر هذا النبي، وأن ما وقع لم يكن إلا بمجرد المشيئة. فصار ظنهم هذا إجماع بين سوء الظن بالله من جهة أنه لا ينصر رسله ولا أولياءه ومن جهة أنه لم تقع هذه عن حكمة بل بمجرد المشيئة.

وهذا كله باطل، ولهذا بين سبحانه في كتابه العظيم حكمه وأسراره فيما يقضيه ويفعله ويشرعه وأنه يبتلي عباده في السراء والضراء والشدة والرخاء ليمحص ما في قلوب المؤمنين ويمحق الكافرين ويتوب المؤمنون إليه ويستغفروه ويعدوا للقاء الله سبحانه والقيام بحقه كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٥- ١٦٧].

فله سبحانه حكمة بالغة في ابتلاء هؤلاء وهؤلاء فالمؤمنون يبتلون ليتمحص إيمانهم ولتغفر سيئاتهم وليعدوا للقاء ربهم. والكفار يمحقون، والمنافقون يفضحون ويظهر خزيهم وباطلهم.

ولكن المنافقين فسدت قلوبهم وأساءوا الظن بالله ولهذا نصر الله المؤمنين كما وعدهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١]، وهذا الوعد لا يقدح فيما يقع من هزيمة أحيانًا ليتخذهم شهداء، ولحكمة بالغة أخرىٰ تقدم بعضها. اهـ.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

ولأن الناس لو نصروا دائمًا ولم يصبهم شيء من الخلل لربما ابتلوا بالعجب والكبرياء وعدم الخضوع لله وعدم الاعتراف بتقصيرهم ونقصهم، وربما ظنوا أن هذا بحيلتهم وقوتهم وأعمالهم، فإذا ابتلاهم بشيء من هذه الأشياء انكسرت نفوسهم ورجعوا إلىٰ الله.

والواجب علىٰ المسلم أن يفتش نفسه ويحاسبها لعله يسلم من هذا البلاء، ولهذا من فتش نفسه وجد عندها عيوبًا ووجد عندها اعتراضًا علىٰ القدر وعجبًا بنفسه وبأعماله إلا من عصمه الله.

وعلىٰ المؤمن أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأن له حكمة عظيمة فيما يصرفه وأن له قدر سابق وأن من حكمه وأسبابه العظيمة تهيئة عباده المؤمنين لما هو أفضل ورفع درجاتهم وليرجعوا إليه سبحانه وتعالىٰ.



٦٠- باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» رواه مسلم[1].

لما كان الإيمان بالقدر من أصول الإيمان وضع المؤلف هذا الباب لأن هذا مما يحصل به التوحيد وينتفي به الكفر. أي: باب ما جاء من الوعيد الشديد والتحذير الأكيد من إنكاره والتكذيب به. وكان المسلمون في عهد النبي ﷺ قد آمنوا بالقدر وسلموا به لله ثم نبتت بعد ذلك نابته في آخر عهد الصحابة وبعد ذلك، فأنكروا القدر وقالوا: الأمر أنف، وزعموا: أن إثبات القدر يخالف العدل، وكيف تقدر الأمور ثم يعاقب العاصي والكافر علىٰ ما فعل؟. جهلًا منهم وضلالًا والتباسًا للأمر عليهم.

أما أهل الحق من أصحاب النبي ﷺ ومن سار علىٰ منهجهم من أهل السنة والجماعة قد آمنوا بالقدر وصدقوا به، وأن الله قدر المقادير وكتبها فلا يقع في ملكه ما لا يريد، بل قدر كل شيء وأحصىٰ كل شيء، وهو العالم بكل شيء. وكان الإمام الشافعي رحمه الله تقول: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا. ومعنىٰ هذا: أن يقول: هل الله يعلم الأشياء قبل وجودها؟ فإذا قالوا: نعم، فهذا هو القدر، إن الله علم الأشياء قبل وجودها وكتبها عنده: من يسلم ومن يكفر ومن يعصي، وإن أنكروا أن الله تعالىٰ يعلم، كفروا. لأنهم نسبوا إلىٰ الله الجهل والضلال والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢] فمن نسب إلىٰ الله الجهل، وأنه لا يعلم الأشياء فقد طعن في آيات الله وتنقصه فيكون كافرًا. ولذلك ذهب جماعة من العلماء من أهل السنة والجماعة إلىٰ كفر القدرية وأنهم كفار لأنهم كذبوا بقدر الله وأنكروا علمه وكذبوا هذه النصوص ونسبوا إلىٰ الله الجهل.

---

(١) رواه مسلم (٨).

❁ **وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتىٰ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة»، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات علىٰ غير هذا فليس مني»**[1].

وقد صح عنه ﷺ في حديث عمر: «الإيمان أن تؤمن بالله.. وبالقدر خيره وشره».

ودل علىٰ هذا كتاب الله أيضًا، حيث قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]. ولهذا قال: قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا ثم....

وهكذا قال زيد بن ثابت وأبي كعب وعبد الله بن مسعود وغيره وهكذا قال أهل السنة والجماعة. فالواجب علىٰ المسلم أن يؤمن بالقدر.

والإيمان بالقدر يشمل أربعة أمور:

١- علم الله بالأشياء.

٢- كتابتها.

٣- وأنه خالق كل شيء ومقدر كل شيء

٤- وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فمن آمن بهذه المراتب فقد آمن بالقدر، ومن كذب بشيء منها فقد كذب بشيء من القدر.

❁ **عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتىٰ....**

أي: لن تجد طمأنينة الإيمان وراحته وذوقه إلا أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك وهذا هو الإيمان بالقدر. فإذا آمن بهذا انشرح قلبه وعمل بما شرع الله له. ويأخذ بالأسباب وهو مطمئن القلب لأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وهذا تفسير للقدر من باب تفسير الشيء ببعض معناه.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والبيهقي في الكبرىٰ (٢٠٦٦٤)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله بنحوه في ظلال الجنة (١١١)، وقال: صحيح بطرقه.

وفي رواية لأحمد: «**إن أول ما خلق الله تعالىٰ القلم، فقال له: اكتب، فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»(١)، وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**»(٢).

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: «**لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت علىٰ غير هذا لكنت من أهل النار**». قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ(٣). حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

وهكذا قال الصحابة لعبد الله بن فيروز الديلمي التابعي المعروف لما سألهم فأخبروه: أن الله لن يقبل منه شيء حتىٰ يؤمن بالقدر وإلا فإن أعماله حابطة، وهذا يدل أنهم أرادوا: أنه يكفر بذلك لأن الله قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] والذي لا تقبل أعماله ونفقاته هو الكافر الذي لم يتحقق فيه الإيمان.

فمن أنكر القدر فقد أخل بشيء من الإيمان وبركن من أركان الإيمان وبذلك يحبط عمله.

وقد روىٰ مسلم من حديث عبد الله بن عوف مرفوعًا: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة**»(٤) فالأمر قد أحكم ومضىٰ به علم الله وكتابته، وهو الخلاق ومدبر الأمور علىٰ ما قدرها سبحانه وتعالىٰ.

وهذا هو الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة، من كان عليه كان علىٰ الحق ومن حاد عنه حاد عن الحق.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، والترمذي (٣٣١٩) وغيرهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٢٦٤٥).

(٢) ذكره ابن القيم في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وعزاه لابن وهب.

(٣) رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٢١٦٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٩٤٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٦٢).

(٤) رواه مسلم (٢٦٥٣).

٦١- باب ما جاء في المصورين

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**» أخرجاه[١].

❁ ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**»[٢].

❁ ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**»[٣].

يريد المؤلف من هذا الباب بيان أن التصوير من جملة الكبائر التي تقدح في التوحيد وتعرض فاعله لغضب الله والنار وتنقص إيمانهم وتضعفه.

والمصورون: هم الذين يضاهئون بخلق الله في تصوير الحيوانات سواء باليد أو بأي آله إذا كان المصور من ذوي الأرواح.

❁ قوله: «**من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي..**»: هذا استفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا أحد أظلم ممن عمل هذا العمل وهذا العامل، والمراد التحذير والتنفير من هذا العمل. وهذا الأسلوب جاء في القرآن في مواضع كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢٢] وغيرها.

قوله: «**يخلق كخلقي**»: أي: يصور كتصويري. فإن كانت عندهم قوة، «**فليخلقوا ذرة**» يكون لها صفات الذرة من العقل والمشي وغيرها وهي مع صغرها فهي حيوان عجيب. «**أو ليخلقوا حبة**» لها صفات من الإنبات والنفع للناس. فإن كانوا يعجزون في الجماد والنبات، فكيف في الحيوان؟.

❁ ولهما عن عائشة مرفوعًا: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

❁ ولهما عن ابن عباس مرفوعًا «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة...**».

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) رواه مسلم (٢١١٠)، وهو عند البخاري بألفاظ ليس فيها هذا اللفظ.

ولهما عنه مرفوعًا: «من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»(١).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»(٢).

وقد أجمع العلماء علىٰ أن التصوير لذوات الأرواح من الكبائر والمحرمات إذا كان له ظل أما إذا لم يكن له ظل كالصور في الجدران والألواح والملابس وغيرها فقد رخص في هذا بعض التابعين. وأجمع الأئمة الأربعة والجمهور علىٰ أنه محرم أيضًا كالذي له ظل وهذا هو الصواب. لأن الأحاديث تعم ما كان له ظل وما لا ظل له وتشمل التصوير الشمسي وغيرها. ومما يدل علىٰ عمومها أن النبي ﷺ لما قدم علىٰ عائشة ورأىٰ عندها سترًا فيه تصوير تغير وغضب وقال: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(٣)، والستر ليس فيه شيء من الظل ومن جنسه التصوير الشمسي. ويدل عليه ما وقع يوم الفتح لما كان علىٰ الكعبة صور فقدم له أسامة ماء فمحاه النبي ﷺ.

فالواجب الحذر من هذا وأن يبتعد المؤمن عن هذه المحرمات ويجب إزالتها وإتلافها وطمسها.

۞ **قوله: «ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»**: مشرفًا: مرتفعًا.

وقد نهىٰ النبي ﷺ عن البناء علىٰ القبور لأنه من وسائل الشرك وكذلك الصور من وسائل الشرك وإنما وقع الشرك في قوم نوح بسبب هذه الصور.

أما ما يتعلق بما وقع هذه الأيام من الحاجة إلىٰ الصور فهذا يقيد بقيده، من باب الإكراه إذا اضطر الإنسان إلىٰ ذلك، فيفعله وهو كاره له، كالصور لحفيظة النفوس وما أشبه ذلك.

والصور تمنع دخول الملائكة كما في الحديث الصحيح(٤).

ويستثنىٰ من ذلك ما كان ممتهنًا فهذا لا يجوز تصويره ولو كان ممتهنًا، ولكن إذا استعمل ممتهنًا في الفراش فلا يمنع دخول الملائكة، كما أن الكلب الذي للحرث والزرع والماشية لا يمنع دخول الملائكة لأنه مأذون فيه ومرخص فيه، فلو اشترىٰ بساطًا فيه صورة وجعله وسادة فهذا لا يضر لأنه ممتهن. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٢) رواه مسلم (٩٦٩).

(٣) رواه البخاري (٢١٠٥) ومواضع، ومسلم (٢١٠٧، ٢١٠٨).

(٤) ولفظه: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»، رواه البخاري (٣٣٢٢) ومواضع، ومسلم (٢١٠٦).

- صور المجاهدين الأفغان داخل في هذا المنع لأن الجهاد يقوم بدون صور، وكـذلك لا ينبغي التصوير بأشرطة الفيديو.

- تحنيط الحيوانات لا ينبغي لأنه إضاعة للأموال بلا فائدة وقـد يحـتج بهـا النـاس بأنهـا صورة وقد يعتقد فيها باطلًا كما يعتقده بعض الناس أنها تمنع الجن وما أشبه ذلك.

- والمنع في الحديث يشمل الصور التعليمية وغيرها.

٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**» أخرجاه[(١)].

أراد المؤلف بهذا الباب بيان أن كثرة الحلف نقص في الإيمان ونقص في التوحيد لأن كثرة الحلف تفضي إلىٰ أشياء:

١- التساهل في ذلك وعدم المبالاة.

٢- الكذب.

٣- ظن الكذب به.

فإن من كثرت أيمانه وقع في الكذب فينبغي التقلل من ذلك وعدم الإكثار من الأيمان ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] فهذا الأمر للوجوب فيجب حفظ اليمين إلا من حاجة لها، فالمؤمن يحفظها ويصونها إلا من حاجة ولمصلحة شرعية أو عند الخصومة والحاجة إليها ونحو ذلك، ولا يكثر منها لما سبق ولأنه يظن به الكذب.

حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب» وفي لفظ: «**للربح**» وهو يدل علىٰ أن كثرة الحلف من أسباب الوقوع في الخطأ فهو يعتني باليمين يريد أن ينفق السلعة، ولكنه يقع في الحظر وهو محق الكسب وقلة البركة، فهي مروجة للسلعة لأنه يحلف ويقول: والله إنها طيبة إنها كذا وكذا فيغر الناس الذين يشترون منه فربما صدقوه، لكنها ممحقة للربح الذي يتعاطاه بسبب تساهله في هذه الأيمان.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره والمنان بما أعطىٰ والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٦).

۞ وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»**(١) رواه الطبراني بسند صحيح.

۞ وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** – قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ – **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»**(٢).

فتنفيق السلعة قد تكون بالكذب أو بالصدق ولكن الإكثار منها توقع في الكذب. وربما جره الطمع إلى أن يكذب فالواجب أن يحذر.

ثم هذه الأيمان من أسباب محق البركة والوقوع في الحرام.

۞ **حديث سلمان مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم..»**.

أشيمط زان: أي: شيخ أشمطه الشيب، والشمط: الشيب.

عائل مستكبر: أي: فقير مستكبر مع فقره يتكبر، والغني قد يتكبر من أجل المال. ولكن الفقير لا يدعوه إلى التكبر إلا أن هذه سجية له وشيء استقر في قلبه.

«ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه»: ففي هذا حذر من هذه الخصال ومنها: زنى الشيخ الكبير، فإن هذا عظيم لأن الشاب قد يتوب ويقلع، أما الشيخ فلا يحمله على هذا إلا أنه شيء استقر وبقي في قلبه.

قال العلماء: وهذا يدل على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي وضعفه.

۞ **وعن عمران مرفوعًا: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»** قال عمران: فلا أدري.. أقال بعد قرنه مرتين أو ثلاثة..

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦١١١)، والصغير (٨٢١)، والهيثمي في المجمع (٦٣٣٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٧٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١) ومواضع، ومسلم (٢٥٣٥).

❁ **وفيه عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**[١].

❁ **قال إبراهيم:** كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[٢].

لكن المحفوظ من حديث عمر ﷺ في المسند أنه مرتين ومن حديث ابن مسعود كذلك كما هو هنا.

ثم بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون.. أي: أن الأحوال تتغير بعد القرون المفضلة الثلاثة حتى توجد الخيانة وعدم الوفاء بالنذر وشهادة الزور ويكثر هذا لضعف الإيمان وغلبة الجهل وكثرة الأغلاط.

والوفاء بالنذر واجب وهو من صفات المؤمنين، والنذر لا ينبغي كما في الحديث: «**أنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج من البخيل**»[٣]، ولكن إذا نذر فعليه الوفاء. وهذا في نذر الطاعة أما نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به والصواب أن عليه كفارة يمين.

«**يظهر فيهم السمن**»: أي: سمن الأجسام لكثرة الغفلة والإغراق في النعيم والشهوات ولكن لا يلزم أن يكون كل سمين متوعدًا وسيئًا بل قد يكون منهم الصالحون وهذا إشارة إلى الغفلة والإعراض عن الاستعداد للآخرة.

«**خير الناس قرني**»: هذا يعم الناس كلهم في هذا القرن وهم الصحابة وهم خير الناس بعد الأنبياء ثم التابعين ثم تابعي التابعين.

«**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»: وهذا من قلة المبالاة والاستهتار لضعف الإيمان وقلته.

أما المؤمن فلا يشهد إلا عن صدق ولا يحلف إلا عن حاجة.

❁ **قال إبراهيم:** كانوا يضربوننا على الشهادة ونحن صغار.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومواضع، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) رواه البخاري (٦٦٠٨) ومواضع، ومسلم (١٦٣٩، ١٦٤٠)، واللفظ لمسلم.

....

أي كان السلف يؤدبون أبناءهم إذا شهدوا وحلفوا حتىٰ لا يعتاد هذا. إذا كذب فيشهد علىٰ كذبه بالأيمان الفاجرة والعهود الظالمة، أي: يؤدبونهم ويوجهونهم حتىٰ لا يعتادوه؛ لأن الصبي إذا اعتاده فقد يتساهل فيه في كبره، وهذا من عناية السلف بتربية أبنائهم علىٰ الأخلاق الفاضلة والتربية الصحيحة، وهذا هو الواجب علىٰ كل مسلم.



٦٣- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

۞ **وقول الله تعالى:** ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآية.

۞ عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله**،.........................

أي: باب ما جاء فيه من تعظيمها والتحذير من إخفارها، والتحذير أيضًا من جعلها للناس لأن هذا وسيلة إلى إخفارها، فالواجب على ولاة الأمور ألا يجعلوا للناس ذمة الله وذمة نبيه، وإنما يجعلون لهم ذمة الرئيس والملك وأصحابه.

وهذا من باب تعظيم ذمة الله وذمة رسوله، وهو من باب إكمال التوحيد والإيمان، وإخفارهما نقص في التوحيد ووسيلة إلى التلاعب.

۞ **قال تعالى:** ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

فمن عاهد بذمة الله أو ذمة رسوله فعليه أن يوفي، وإن كان قد أخطأ في العهد بذمة الله ورسوله لكن عليه أن يوفي بذلك وعليه ألا يخفر بذلك.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

أي: لا تنقضوا العهود بعد أن أكدتموها بالأيمان الشديدة والمعاهدة، بل أوفوا كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤] وقال ﷺ: «**يرفع لكل غادر يوم القيامة لواء عند استه ينادى عليه: هذه غدرة فلان ابن فلان**» وهذا فيه وعيد عظيم ويدل على وجوب الوفاء بالعهد.

۞ حديث بريدة بن الحصيب عند مسلم أن النبي ﷺ كان... فيوصيه في نفسه وفي جيشه أن يتقي الله فيهم وأوصى الجيش بتقوى الله.

«**ادعهم إلى الإسلام**»: أي: ادعهم إلى الشهادتين أولًا قبل كل شيء كما في حديث معاذ حين بعثه إلى اليمن، فإذا أجابوا ونطقوا بالشهادتين علمهم بقية الفرائض.

قوله: «**يجري عليهم حكم الله**»: أي: في الأوامر والنواهي.

.... قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خصال – أو: خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعوهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما علىٰ المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالىٰ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه...

«**خصال – أو: خلال–**»: شك من الراوي والمعنىٰ واحد وهذا من حرص الرواة رحمهم الله.

«**فإن أبوا فاسألهم الجزية**»: أي: أبوا الدخول في الإسلام والهجرة «**فاسألهم الجزية واقبل منهم**». وهذا في اليهود والنصارىٰ والمجوس كما قال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[التوبة: ٢٩].

فالسنة أطلقت من يؤخذ منهم الجزية، والقرآن قيد بأهل الكتاب وألحقت السنة بأهل الكتاب: المجوس في أخذ الجزية لا في حل الطعام والنساء وغيره.

«**فاستعن بالله وقاتلهم**»: فيه وجوب الاستعانة بالله وأن المؤمن يستعين بالله في قتال أعدائه ولا يعتمد علىٰ قوته فقط.

«**وإذا حاصرت أهل حصن**»: أي: الأبنية والقلاع حيث كان يتحصن بها أهل الكتاب غالبًا، ولم يكونوا مع الأعراب في البوادي.

«**فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه... فإنكم أن تخفروا ذمتكم**».

الإخفار: مصدر أخفر «رباعي» هو نقض العهد.

.... وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم علىٰ حكم الله، فلا تنزلهم علىٰ حكم الله، ولكن أنزلهم علىٰ حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[١] رواه مسلم.

أما الخفر: فهو «ثلاثي» من خفره يخفره إذا حماه ونصره ومنه: الخفير وهو الحامي، فأخفره أي: أزال حمايته وعهده.

فالواجب علىٰ المسلمين ألا ينقضوا العهد والميثاق، ويخفروا، وليس لهم أن يجعلوا ذمة الله وذمة رسوله لأنهم إذا وقعوا في الإخفار صار أسهل في حقهم من الإخفار في ذمة الله وذمة نبيه مع أن كلاهما لا يجوز، لكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الكبائر أشد من بعض.

وكذلك إذا طلبوا منهم أن ينزلهم على حكم الله فإنه لا يقبل، بل يقول: أنزلكم علىٰ حكم أصحابي. ولا بأس أن يقول: سوف أجتهد في إنزالكم علىٰ موافقة الشرع ولكن لا أستطيع أن أنزلكم علىٰ حكم الله لأني قد أخطئ فيعرض عليهم اجتهاده حسب ما يوافق الشرع، لأنه إذا أخطأ يكون قد كذب علىٰ الله فهذا من باب الحيطة، ومن باب الآداب الشرعية في إعطاء العهود والمواثيق وإنزال العدو إلىٰ حكم يرضاه الله تعالىٰ.

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله

❁ **عن جندب بن عبد الله** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألىٰ عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»[1] رواه مسلم.

❁ وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

أي: باب ما جاء فيه الوعيد فإنه لما كان الإقسام علىٰ الله جرأة علىٰ الله ونقص في التوحيد وضعف في الإيمان ذكره المؤلف هنا.

جندب: بفتح الدال وضمها لغتان.

❁ **حديث جندب قال:** قال رسول الله ﷺ: «**قال رجل: والله..**».

«**من ذا الذي يتألىٰ عليّ**»: التألي: هو الحلف والألية اليمين.

والحديث فيه التحذير من التألي علىٰ الله والإقسام عليه بأنه لا يفعل كذا ولا يفعل كذا، والله لا يغفر لفلان ونحوها، فكل هذا ظلم وجور لا يجوز لأنه ليس للإنسان علم من الله ولا عندك حق عليه، ولو كان هذا الرجل فاعل كبيرة أو صاحب معصية، بل عليك أن تدعو له بالهداية لأن الله قد يغفر له وأنت لا تدري.

وهذا فيه خطورة اللسان فيجب حفظه والحذر منه وهو نقص في التوحيد والإيمان.

❁ **في حديث أبي هريرة:** أن القائل رجل عابد: أي أن الذي حمله علىٰ هذا غيرته وعبادته التي يتعبدها علىٰ أن قال هذا الكلام السيئ.

وفي هذا أن الإنسان قد يغار غيرة خاطئة خاسرة، فيجترئ بها علىٰ الله، وقد يكون غيورًا فيأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر علىٰ غير بصيرة، وقد ينكر منكرًا علىٰ غير بصيرة، ولذلك يجب التقيد بالقيود الشرعية في إنكار المنكر والنظر إلىٰ الحدود التي حدها الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢١).

أو بقيت دنياه وآخرته: أي: أهلكتها.. لأنها كلمة خطيرة وفي الحديث: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا تهوي به في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» رواه مسلم[1].

وفي لفظ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يتبين فيها يكتب الله بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه**»[2] أي: لا يتثبت فيها.



(١) رواه البخاري (٦٤٧٧، ٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) رواه مالك في الموطأ (١٧٨١)، والترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، والحاكم في المستدرك (١٣٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٨٨).

٦٥- باب لا يستشفع بالله على خلقه

❁ **عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال:** جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! سبحان الله!**» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي ﷺ: «**ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**»[1] وذكر الحديث. رواه أبو داود.

ذكر المؤلف هذا الباب لأنه من كمال التوحيد والإيمان، ولأن هذا من وسائل الشرك وهو الاستشفاع بالله على خلقه، فشأن الله أعظم من ذلك فلا يستشفع بالله على خلقه بأن يقول لأحد: إني استشفع بالله عليك، ولكن يستشفع بالمخلوق على المخلوق فيقال: يا فلان أنا استشفع بفلان عليك فهذا لا بأس به، أما على الله فلا تجوز لأن شأن الله أعظم من ذلك، ومن شأن المشفوع به أن المشفوع إليه يكون أعظم، وهذا لا يليق بالله لأن الله فوق الجميع. بل يسأل الله بأسمائه وصفاته.

❁ **عن جبير بن مطعم قال:** جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: «**سبحان الله**». هذا يقوله ﷺ في الأمور العظيمة المحبوب منها والمكروه، في الأشياء التي تعظم أو يتعجب منها أو ينكرها.

ولها أمثلة كثيرة كحديث الأنواط، وحديث أن الأمة شطر الجنة وغيرها.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (١٠١٧).

٦٦- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

۞ **عن عبد الله بن الشخير ﷺ، قال:** انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالىٰ**»، قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**»[1] رواه أبو داود بسند جيد.

۞ وعن أنس ﷺ، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**، ....

هنا تكلم علىٰ حماية التوحيد من جهة الأقوال، قد تقدم طرق وباب حماية التوحيد من جهة الأفعال وحماية جناب التوحيد، والجناب هو الجزء منه.

وهذا الباب في حمىٰ التوحيد والحمىٰ غير الذات، وخارج عن الذات، فهذه الترجمة أبلغ فيما يتعلق بالتوحيد وفيما يتعلق بالأقوال. فالرسول ﷺ حمىٰ جناب التوحيد وحمىٰ حماه من جهة القول والعمل حتىٰ لا يقرب الناس من الشرك ويقعوا فيه، وحذر من وسائله وذرائعه الموصلة إليه، وهذا من كمال البلاغ.

۞ **عن عبد الله بن الشخير قال:** انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ النبي ﷺ فقلنا...

«**السيد الله**»: هذا من باب التواضع خوفًا عليهم من الغلو، وإلا فإنه سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام فقال ذلك تواضعًا ولئلا يقعوا في الغلو، فهو دليل أنه إذا قيل للإنسان أنت سيدنا، ينبغي أن يقول: السيد الله حتىٰ لا يقع في قلبه شيء من التعاظم.

«**لا يستجرينكم الشيطان**»: أي: لا يجركم الشيطان إلىٰ ما لا ينبغي، أي: لا يتخذكم جريًا أي: رسلًا إلىٰ ما يبعث إلىٰ الشرك والغلو، والزموا الأقوال المعتادة كـ: أبا القاسم، يا رسول الله، يا نبي الله، ودعوا عنكم الأقوال التي قد تفضي إلىٰ الغلو.

«**لا يستهوينكم**»: لا يوقعنكم في الضلالة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (٤٩٠٠).

.... أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»[١]. رواه النسائي بسند جيد.

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الممتحنة: ١٢]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ...﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ [الكهف: ١].

والمقصود من هذا سد الذرائع التي قد توصل الناس إلىٰ التساهل إلىٰ الشرك فإنهم إن قالوا له: يا سيدنا وغير ذلك من الألفاظ التي يأتي بها الناس الآن من الغلو، فقد يجرهم إلىٰ أن يعبدوه من دون الله ويدعوه ويستغيثوا به يزعموا أنه يعلم الغيب وغير ذلك. وقد فعلوا كما قال صاحب البردة:

يـــا أكـــرم الخلـــق مـــا لي ....

فوقع في الغلو حتىٰ قال عن النبي ﷺ: أنه ينجي يوم القيامة، وأن من لا ينجيه النبي ﷺ فإنه لا ينجو وهذا من أعظم الغلو، وقال: أن عنده علم اللوح والقلم وأنه مطلع علىٰ كل شيء.

فالواجب علىٰ المسلم أن يحفظ لسانه وأن يقتصد في قوله سواء مع الرسول ﷺ أو مع غيره وعليه التأدب بالآداب الشرعية في أقواله وأعماله مع الرسل والصالحين والعلماء حتىٰ لا يقع في الغلو الذي وقع فيه اليهود والنصارىٰ، وأوصلهم إلىٰ أن عبدوا أولياءهم واستغاثوا بأنبيائهم وصلحائهم وعلمائهم، ووقعوا في الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر.



---

(١) رواه أحمد (١٣٥٥٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٠٧٨)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٩٠١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في إصلاح المساجد (١/١٢٦).

٦٧ - باب ما جاء في قول الله تعالى

❁ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

❁ **عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال**: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

❁ **وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر علىٰ إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله».**

هذا الباب الأخير في الكتاب جمع أنواع التوحيد الثلاثة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] هذه الآية تبين عظمة قدرته سبحانه وتعالىٰ، وأنه يطوي السموات والأرض ومن كان بهذه المتانة فهو أحق أن يعبد ويطاع، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله لا شبيه له ولا ند له ولا يقاس بخلقه، فهو القادر علىٰ كل شيء سبحانه.

❁ **عن عبد الله بن مسعود قال**: جاء حبر من أحبار اليهود إلىٰ رسول الله ﷺ فقال:....

حبر: بفتح الحاء وكسرها وهو العالم من علماء اليهود.

يا محمد! إنا نجد الله يجعل السموات والأرض علىٰ إصبع: أي: أنه سبحانه يحمل هذه المخلوقات علىٰ أصابع خمسة فمع عظم هذه المخلوقات: السموات والأرض فإنه سبحانه يأخذها بيده ويهزها: أنا الملك أنا الجبار أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ أين ملوك الأرض؟ وتلا النبي ﷺ الآية تصديقًا له، وفي هذا إثبات الصفات لله، وأنه سبحانه له يمين وشمال، وأن كلتا يديه يمين كما في الحديث الآخر، وسمىٰ أحدهما يمينًا والآخر شمالًا من حيث الاسم، ولكن من حيث المعنىٰ والشرف كلتاهما يمين سبحانه وتعالىٰ، وليس في شيء منهما نقص.

وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع» أخرجاه[(١)].

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون»[(٢)].

وروي عن ابن عباس، قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»،.....

وكذلك الكف قال: «ما السموات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨)، وقال فضيلة الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكتاب التوحيد المعروف بـ«القول المفيد شرح كتاب التوحيد»:

قوله: «ثم يأخذهن بشماله» . كلمة «شمال» اختلف فيها الرواة، فمنهم من أثبتها، ومنهم من أسقطها، وقد حكموا علىٰ من أثبتها بالشذوذ، لأنه خالف ثقتين في روايتها عن ابن عمر . .

ومنهم من قال: إن ناقلها ثقة، ولكنه قالها من تصرف.

وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في «صحيح مسلم»: أن الرسول ﷺ قال: «المقسطون علىٰ منابر من نور علىٰ يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال .

ولكن إذا كانت لفظة «شمال» محفوظة، فهي عندي لا تنافي «كلتا يديه يمين» لأن المعنىٰ أن اليد الأخرىٰ ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنىٰ، فقال: «كلتا يديه يمين» أي ليست فيها نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة» فلما كان الوهم يذهب إلىٰ أن إثبات الشمال، يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرىٰ، قال: «كلتا يديه يمين»، ويؤيده أيضًا قوله: «المقسطون علىٰ منابر من نور علىٰ يمين الرحمن»، فإن المقصود بيان فضل مرتبتهم، وأنهم علىٰ يمين الرحمن – سبحانه – .

وعلىٰ كل، فإن يديه – سبحانه – اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرىٰ، وإذا وصفنا اليد الأخرىٰ بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنىٰ، بل كلتا يديه يمين .

والواجب علينا أن نقول: إن ثبت عن الرسول ﷺ، فنحن نؤمن بها، ولا منافاة بينها وبين قوله: «كلتا يديه يمين» كما سبق، وإن لم تثبت، فلن نقول بها .

.... قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[١].

❁ **وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم»**. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ، قال: وله طرق.

❁ **وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «**بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلىٰ سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة،**...............................

❁ **وعن ابن مسعود قال:** ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام...

❁ **وعن العباس مرفوعًا: «هل تدرون كم بين السماء والأرض»** قلنا: الله ورسوله أعلم...

وهذه من أحاديث الصفات ومن أحاديث العلو وقد أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن الله سبحانه فوق عرشه، فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان، والأدلة علىٰ ذلك أكثر من أن تحصر.

وحديث ابن مسعود حديث صحيح جيد، وحديث العباس وإن كان في سنده انقطاع لكنه ينجبر.

وله روايات أخرىٰ أن بين السماء الدنيا مسيرة إحدىٰ وسبعين سنة، أو اثنتان وسبعون سنة أو ثلاث وسبعون سنة، وجمع بعض أهل العلم بينهما بأن السير يختلف، وأن خمسمائة عام بالنظر إلىٰ سير الأحمال، وسير الأقدام، والسير العادي.

وثلاث وسبعون سنة بالنظر إلىٰ السير الخفيف القوي، فإن مقداره يكون بمقدار السدس بالنسبة إلىٰ سير الأحمال المثقلة ونحو ذلك.

وعلىٰ كل تقدير فهذا يبين عظمة الله وعلوه، وأنه لا يخفي عليه شيء من أعمال بني آدم.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، عند تفسير آية الكرسي من سورة البقرة؛ وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧).

... وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالىٰ فوق ذلك، وليس يخفىٰ عليه شيء من أعمال بني آدم»[1]. أخرجه أبو داود وغيره.

وفيه الدلالة علىٰ ارتفاع هذه المخلوقات، وسعة ما بينها من المسافات العظيمة وربك الخلاق جل وعلا هو الذي خلقها فهو أعظم منها وأكبر سبحانه وتعالىٰ.

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



---

(١) رواه بنحوه أبو داود في سننه (٤٧٢٣)، وفيه قال: **«هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟»** قالوا: لا ندري. قال: **«إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة.....»** الحديث، وليس فيه أن بين السماء والأرض وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذا رواه الترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وضعف هذا اللفظ العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (١٠١٤)، وورواه أحمد (١٧٧٠) بلفظ قريب من لفظ المصنف وفيه أن ما بين السماء والأرض وما بين كل سماء والتي تليها مسيرة خمسمائة سنة. وكذا رواه الحاكم في المستدرك (٣١٣٧)، وضعف هذا اللفظ العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٦٠٩٣).


فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــــوع **الصفحة**

الموضـــــوع **الصفحة**

